المغاضبات الزوجية

وصداها فى الشعر الجاهلى

بقلم

د/ حفيظة إسماعيل رمضان

أستاذ مساعد بقسم الأدب والنقد

العلاقة الزوجية من أسمى وأدق وأعمق العلاقات الإنسانية، والأصل فيها الرحمة والمودة والمشاركة الوجدانية، والانسجام التام بين الطرفين والاحترام التام بينهما. وهي مع سموها وعمقها ومع أن الأصل فيها المودة والرحمة إلا أنها علاقة إنسانية يكتنفها ما يكتنف العلاقات الإنسانية من ساعات الصفو والرضا وساعات يتعكر فيها صفو هذه العلاقة.

ولقد أدرك الجاهليون أهمية العلاقة، الزوجية، وعلم الرجل أن الزواج شركة في الحياة وأساس لعشرة طويلة ولحمة وثيقة بينه وبين من يصاهر ،وعلم أيضًا أن الزوجة سكنه ومتاعه وقسيمته في أولاده يرثون منها كما يرثون منه، ويتطبعون على كثير مما تطبعهم عليه وتأخذهم به منذ الحداثة لذلك تخير الزوجة بدقة حرصًا منه على استقامة الحياة ودوامها وكانت الزوجة المثلى لديه هي الزوجة التي تتميز بحسب وشرف قومها. ولذلك افتخر لقيط بن زرارة بحسب زوجته وشرف قومها قائلاً:(١)

لم يأت زيدًا حيث أصبح أننى تزوجتها إحدى النساء المواجد
عقيلة شيخ لم يكن لينالها سوى عُدُسِيَّ من زرارة ماجد
إذا اتصلت يوما بنبتها انتهت إلى آل مسعود بن قيس بن خالد

واحتفوا بالمرأة الجميلة جسديا ونفسيا وسلوكيا(٢) لتكون ألصق سكنا وأقر عينه وأدمث عشرة.

وآثروا غالبا الشابة البكر على الثيب ولعلهم راعوا أنها أسلس قيادا، وأيسر انطباعا وأكثر نسلا وولادة وهم يعرفون بالمشاهد أن الرجل

(١) أمثال العرب/ للمفضل الضبى ص ٢١ ط القسطنطينية.

(٢) انظر الغزل فى العصر الجاهلى/ د. أحمد الحوفى رسالة ماجستير بجامعة القاهرة.

أبعد أمدًا فى النسل من المرأة[١] ولذلك ينهى الشاعر الجاهلى ويحذر من الاقتران بالأيم قائلاً:[٢]

لا تنحكن الدهر ما عشت أيَّما مخرمة قد مَلَّ منها وملت
تجود برجينها وتمنع درَّها إذا طلَبَتْ منها المودة هرَّت

ويقول آخر ناهياً من زواج العجوز:[٣]

لا تنكحنَّ عجوزاً إن أوتيت بها واخلع ثيابك عنها ممعناً هربا
وإن أتوك فقالوا إنها نصَفُ فإن أمثل نصفيها الذى ذهبا

وهم يفضلون المرأة الولود وكان هذا سبباً لإيثارهم للشابة البكر لأنهم كانوا يفرحون بكثرة الأولاد – ولا سيما الذكور – ويعتزون بهم ويكاثرون، وهم طالما خايلوا بكثرة عددهم، وعيروا بقلته، لأن حياتهم القبيلية كانت تعتمد على العصبية والنصرة والحروب. ففى كثرة العدد عزة، ومنعة وفى قلته ضعف واستهانة لذلك كانت القبيلة تهنأ وتُقيم العرس لثلاث: غلام يولد أو شاعر بليغ، أو فرس تنتج"[٤] يقول عمرو بن كلثوم مفاخراً بكثرة عددهم:–[٥]

ملأنا البرحُتى ضاق عنا وظهر البحر نملؤه سفينا

كما احتفى الجاهليون بالزوجة الأريبة اللقنة الفصيحة واعتبروا تلك الصفات من صفات الكمال لأنها تبشر بأن ابنها سيكون كذلك ولذا طلق

(١) الحيوان/ للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ٢٠٨/٥ ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٩م
(٢) شرح حماسة أبى تمام/ للشنتمرى تحقيق د. على المفضل حمودان المجلد الثانى ١١٧٠ ط دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ١٩٩٩م، مخرمة: دعا عليها أهل زوجها السابق أن تتخرمها المنية.
(٣) المرجع السابق ص ١٦٩.
(٤) العمدة/ لابن رشيق ٥٠/١ تحقيق مفيد قميحة ط دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
(٥) انظر شرح القصائد العشر للتبريزى لونيه عمرو بن كلثوم.

"أبو رماده" امرأته عندما وجدها لثغاء، مخافة أن تلد له ولداً ألثغ ولم تفتنه بتبخترها ووشى ثيابها فتنسيه لثغتها إذ يقول(١)

لثغـــاء تـــأتى بحـــيفسٍ الثـــغ تمـــيسُ فـــى المُوْشِـــىِّ والمُصَـــبَّغ

ويرفضون فى المرأة أن تكون حمقاء لأنها تلد الحمقى. يقول أكثم بن صيفى إلى بنى طيئ: "وإياكم ونكاح الحمقاء فإن نكحًا غرر وولدها إلى ضياع"(٢) كما اجتنبوا النساء ذوات المظهر الحسن والخبر السيئ اللائى نشأن فى بيئة لا تغذى بأخلاق فاضلة يقول أكثم بن صيفى: "لا يغلبنكم جمال النساء على صراحة النسب فإن المناكح الكريمة مدرجة الشرف"(٣). كذلك اجتنبوا الثرية الناشئة فى لؤم وخسة وقد نهى "أكثم بنى صيفى" فى وصيته لابنه، يا بنى إياك واختيار اللئيمة بما عندها من المال، فإن المال يذهب به، ويبقى فى حالك اللؤم الذى لا يغذيه شئ"(٤)

وكذلك نفروا من المرأة الثيب فى الأعم والأغلب، وكذلك المرأة المتمارضة والغنية التى تمن بمالها وغير المصونة قال رجل لولده. "بابنى لا تتخذها حنانة ولا أنانة ولا منانة ولا عُشْبة الدار ولاكَيَّة القفا".(٥)

كما رغبوا عن المرأة الغضب المقطبة الجبين وكثيرة الصخب والمشارة، قال شيخ من بنى سليم لابنه "يا بنى إياك و"الغضوب

(١) البيان التبيين/ ٥٧/١، وعيون الأخبار/ لابن كتيبة ٧/٤ وفيه نصب الشعر لزياد.
(٢) مجمع الأمثال/ جـ١١٨/٢ ط المطابع الخيرية بمصر.
(٣) جمهرة الأمثال/ لأبى هلال العسكرى هامش مجمع الأمثال للميدانى مط الخيرية.
(٤) محاضرات الأدباء/ للراغب الأصبهانى ١١٧/٢ ط مط الشرقية ١٣٢٦.
(٥) أمالى القالى/ لأبى على القالى ٢٥٦/٢ ط دار الكتب المصرية.
الحنانة: المرأة الثيب التى تحن إلى زوجها الأول، أو التى لها ولد من غيره فهى تحن عليهم – أنانة: تئن من غير علة لأنها إما مترفة مبالغة فى ترفها وأما خبيثة تتمارض أو هى التى توفى عنها زوجها فكلما رأت زوجها الثانى أنت والمنانة: ذات المال التى تمن على زوجها بما قدمت له ولبنيه من خير، وعشبة الدار: المرأة الحسناء فى بيئة فاسدة، لاكية القفا التى تتناولها الألسنة إذا قام زوجها من المجلس.

القطوب"[١] وقالت ابنة الخُسّ "شر النساء السويداء الممراض الكثير المظاظ"[٢]

وعلى الجانب الآخر فقد بالغ العرب الجاهليون فى تخير الأزواج لبناتهم ودققت الفتيات فى اصطفاء أزواجهن كما دقق الأزواج فى اختيار زوجاتهم وكان مقياس الاختبار هو الكفاءة فكانوا يؤثرون الزوج الشاب لأنه أدنى إلى الزوجة سناً وأشبه لها خلقاً وميلاً ولأنه فى ريعانه وعنفوانه ولأن الشاب دائماً مرتبط بالقوة التى يحفل بها المجتمع الجاهلى ويقوم عليها. ولقد رفضت الخنساء أن تتزوج دريد بن الصمة لما طلبها لأنها علمت أنه هَرِمْ، ولم يستطع أبوها ولا أخوها أن يرغماها على هذه الزيجة: وفى ذلك تقول موجهة كلامها لأخيها معاوية الذى حاول جاهداً أن يرغبها فى هذه الزيجة لصداقته لهذا الخاطب:[٣]

أتكرهنى – هبلت – على دريد وقد أصبحت سيد آل بدر
معاذ الله يَرْصَعنى حبركى قصير الشبر من جُشم من بكر

ولذا فضلت بنة "علقمة بن خصفة الطائى" الشاب على الشيخ ذى المال والسؤدد والجاه قائلة:[٤]

إن الفتاة تحب الفتى كحب الرِّعاة أنيق الكلا

وكذلك أرادت بنت ذى الإصبع العدوانى أن يكون لها زوج شاب قائلة:[١]

(١) بلوغ الأرب فى أحوال العرب/ للألوسى ط الرمانية ١٣٤٢ هـ ١٩٢٤م.
(٢) الأمالى/ لأبى على القالى ٢٥٦/٢.
المظاظ: المشارة والمشقة
(٣) ديوان الخنساء/ دراسة وتحقيق إبراهيم عوضى ص ٢٩١ ط مكتبة السعادة ط١ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
(٤) أنظر بلاغات النساء/ لابن طيفور ٩٥. ط مدرة والد عباس الأول ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م

آلا ليت زوجى من أناس ذمى غنى طبيبـــي بـــأدواء النســـاء كأنـــه
حديث الشباب طيب الريح والعطر خليفــة جــان لا ينــام علــى وتــر

كما احتفوا بالزوج حسن العشرة الحانى الحامى للزوجة الرفيق الرقيق وقد أعلن ذلك فى أحاديثهن مراراً ومن ذلك حديث نساء بنى سعد عن خير الرجال وقول إحداهن: "خير الرجال الحظىُّ القنوع، غير الحِظَّال" وقول أخرى "بل خير الرجال الغنى المقيم الراضى لا يلوم وقول ثالثة "بل خير الرجال الوفىّ السنىّ الذى يكرم الحرة، ولا يجمع الضرة".(٢)

وآثرت فى زوجها أن يكون متحلياً بالفضائل التى تعارفت عليها العرب من كرم وشجاعة وأنفه وغيرها أن ذلك يكفل له ولها شهرة وسيادة ولذلك قالت امرأة فى وصف زوجها: "ليث عرينه، وجمل ظعينه، وظل صخر وجوار بحر"(٣)، وعندما سُئلت ابنة الخس أى الرجال أحب إليك؟ فقالت "السهل النجيب، السمح الحسيب، الندب الأريب، السيد المهيب، وأفضل منه الأهيل الهفهاف الأنف العياف المفيد المتلاف الذى يخيف ولا يخاف"(٤) كما تؤثر الفتاة أن تتزوج فتى من عشيرتها إيثاراً لقربها من أهلها، ورغبة فى أن تقيم بوطنها وقبيلتها لأن القبيلة هى التى تكفل الحماية لأفرادها وترعى أمنهم وسلامتهم وحقوقهم داخل القبيلة وخارجها، وهى تريد أن تحتمى بكنفها ولذلك أثرت الفتاة فى الجاهلية الزوج القريب وتغنت بقرابته قائلة:-

(١) الأغانى/ ٩٣/٣.
(٢) جمهرة الأمثال ١٣٣/٢، الحظال: المقتر على أهله.
(٣) مجالس ثعلب/ ٤٥/١، تحقيق عبد السلام هارون ١٣٦٩هـ
(٤) ذيل الأمانى/ ١١٩.
الأهيف الهفهاف: الضامر البطن الدقيق الخصر، الأنف الغياف: الأبى للضيم

لصــوق بأكبــاد النســاء، وأصــله إذا انتمى من سِرِّ أهلى ومحتدى

وتؤكد ذلك ابنة أوس بن حارثة الطائى من خلال حديثها لأبيها عندما استشارها فى أن يزوجها للحارث بن عوف ورفضها له قائلة: "لست بابنة عمه فيرعى رحمى وليس بجارك فيستحى منك"(١) ونصحت أخت أختها بألا تتزوج غريباً قائلة: "إن شر الغريبة يعلن وخيرها يدفن، تزوجى من قومك ولا تغررك الأجسام"(٢) ولذا أعلنت إحدى نساء بنى عامر نقمها من أبيها وأخيها لأنهما زوجاها من عشيرة أخرى قائلة:(٣)

لا تحمدنِّ الدهر أخت أخا لها ولا تريش الدهرّ بنت لوالد
هم جعلوها حيث ليست بحرة وهم جعلوها فى الأقاصى الأبعاد

كما حفلوا بثراء الزوج خاصة فى هذه البيئة البدوية القاحلة ليضمنوا للزوجة الحياة الناعمة والسيادة والشرف ولذلك كان أمل ابنة القس أن تتزوج رجلاً غنياً وإذ تقول "ألا ليت زوجى من أناس ذوى غنى" وقول الأخرى "خير الرجال الغنى المقيم".(٤)

كما حفلت المرأة بالزوج المقيم الذى يوليها اهتمامه وعنايته، وسخطت من الضرَّة لأنها تستأثر باهتمام الزوج على الرغم من انتشار هذه الظاهرة فى العصر الجاهلى فخير الرجال من نظرها "الذى لا يجمع الضرة" الذى يراعى مشاعرها وأحاسيسها فلا يغيظها ويثير حفيظتها بأخرى.

---

(١) الأغانى/ ١٤٢/٩ ط ساسى.

(٢) مجمع الأمثال ١٢٤/١.

(٣) تهذيب اكامل للمبرد/ ١٢٤/٢، تحقيق السباعى بيومى مط السعادة ١٣٤١هـ/١٩٢١م، وأشعار النساء/ للمرزبانى مخطوط دار الكتب المصرية ٨ أدب ش ٤٢٨٩٨.

(٤) جمهرة الأمثال/ ١٣٣/٢.

المغاضبات الزوجية وأسبابها فى الشعر الجاهلى:

قد يتسبب فقد الزوج أو الزوجة لإحدى هذه الصفات التى يحتفى بها الطرف الآخر اهتزازاً للعلاقة الزوجية لأنها تمثل لديه جانباً لا يمكن إغفاله خاصة إذا اكتشف أحد الزوجين أنه قد خدع فى شريك حياته فلا يجد أمامه إلا أن يصب جام غضبه وسخطه على هذا الزوج الذى بدلاً من أن يكون سكناً له أصبح وبالاً عليه، وأن يفصم عرى هذه العلاقة غير المتكافئة وكثيراً ما يكون الانفصال هو النتيجة الحتمية السريعة خاصة إذا اكتشف أحد الزوجين عيوباً جوهرية تستحيل المعاشرة معها. وقد يتصبر أحد الطرفين محاولاً التعايش مع سلبيات الآخر إلا أنه قد يعلن فى بعض الأحيان عن تبرمه وسخطه.

وقد يقف حد المغاضبات عند اختلاف وجهات النظر بين كل من الزوجين فى تفهم سلوك كل واحد منهما للآخر وقد تحدث مشادات زوجية تقف عند حدود اللوم والعتاب ومحاولة الطرف الآخر الدفاع عن وجهة نظره وتوضيح موقفه، وقد تصل المغاضبات إلى حد السخرية والتسفيه لسلوك أحد الطرفين وقد تبلغ الغاية فتظهر فى صورة هجاء من خلال سلب الصفات المثالية وإثبات نقيض تلك الصفات وقد تصل إلى قرار متسرع بإنهاء العلاقة إثر أحد هذه الأزمات.

وقد كان لتلك المغاضبات الزوجية صداها فى إبداع الشاعر الجاهلى كما كان لها صداها فى حياته الخاصة والعامة.

وسوف نتلمس هذا فى ضوء التعرف على أسباب المغاضبات الزوجية من خلال تأملنا للشعر الجاهلى وفى ضوء تفهمنا للبيئة الجاهلية وقيمها الاجتماعية الخاصة.

ولذا سوف نتتبع أهم هذه الأسباب وهى:-

المغاضبات الزوجية من خلال تفهمنا للبيئة الجاهلية وقيمها الاجتماعية الخاصة ولعل من أهم الأسباب التى كانت تؤدى إلى المغاضبات الزوجية وما زالت حتى الآن ألا وهى:

أولاً: الاختلاف حول التصرفات المالية:

فبينما نجد غالباً أن الزوج أكثر إتلافًا للأموال وإنفاقاً لها لما عليه من تبعات وحقوق تجاه أهله وعشيرته وضيفه لا يمكن التنصل منها وإلا وسم بسمة البخل وعدم المروءة وهو ما لا يطيقه العربى الذى تربى على الاحتفاء بالمروءة والجود والكرم والفخر بتلك المثل العربية، خاصة فى تلك البيئة المجدبة والمتقلبة وغير الآمنة والتى تقوم على التعاون التام بين أبناء القبيلة فى هذا المجتمع القبلى.

نجد الزوجة المهتمة بشؤون بيتها وعيالها والتى يكاد يقتصر دورها غالباً على هذا المحيط الخاص الضيق والتى تسعى إلى تأمين نفسها وأولادها من عيلة الفقر والعدم وذل الحاجة ويجعلها عجزها عن الكسب أشد حرصاً على ألا يتصرف زوجها مثل هذا التصرف الذى تراه من وجهة نظرها إسرافاً يعرضهم إلى الفقر والمذلة ويراه هو واجباً وضرورة وحقاً يجب عليه أداءه ولا يمكن التملص منه وأن التقاعس عنه هو الذى يجلب عليه وعلى أولاده من بعده المذلة وربما كان خوف المرأة من التعرض للفقر هو الدافع لها فى لومها لزوجها وقد يكون البخل هو الدافع لذلك وسوف نجد أن رد فعل الزوج على هذا اللوم والعتاب يختلف من

شاعر إلى آخر على حسب نوعية هذا اللوم وأسلوبه وطريقته ومدى حب الزوج لزوجته وحرصه على إزالة أى سوء تفاهم بينهما، وعلى مدى قدرة الزوجة على امتصاص رد فعل الزوج وغضبه وها هو رجل من آل حرب يصف ما دار بينه وبين زوجه من مغاضبة بسبب كثرة بذله للمال وإنفاقه له، ورفضها لهذا البذل واتهامها له بالتبذير، وحثها له على التقليل من الإنفاق ثم ما وصلت إليه المغاضبة من لوم شديد من جهة الزوجة وتصميم على الاستمرار فى هذا النهج من جهة الزوج مع توضيحه لوجهة نظره قائلاً من البسيط:(١)

باتت تلوم وتلحانى على خُلق عُوِّدته عادةً والخير تعويدُ
قلت اتركينى أبع مالى بمكرمةٍ يبقى ثنائى ما أوْرِقِ العودُ
إنا إذا ما أتينا فعل مكرمة قالت لنا أنفس حربية عودوا

وهذا هو "حطائط"(٢) أخو الأسود بن يعفر يروى لنا سبب مغاضبة زوجه له قائلاً من الطويل:(٣)

(١) شرح حماسة أبى تمام/ ٨٩٤/٢.
اللحاء: شدة الملامة، الخير تعويد: أى عادة ومن تعود شئ لم يتركه لأن الخروج عن العادة شديد، والسرف: التبذير والخروج عن الحد، والسرف الخطأ: والتصديد هنا: التقيل من الإنفاق وأصله الشرب دون الرى، أورق العود: كناية عن بقاء حسن الثناء ودوامه، حربية منسوبة إلى حرب بن أمية أى أصلنا كريم فنحن نحافظ عليه.

(٢) حطائط: شاعر جاهلى كان يكثر التنقل بين أحياء العرب ويمدح ولم يترك عقبا والحاطائط مشتق من الحطاط وهو بثر أبيض وهو أخو الشاعر الجاهلى الأسود بن يعفر المعروف بأعشى نهشل ويكنى بأبى الجراح وكان كريماً متلافاً للمال.
أنظر الاشتقاق/ لابن دريد تحقيق عبد السلام هارون ص ٢٤٤ ط السنة لمحمدية القاهرة ١٩٥٨.

(٣) الأغانى/ لأبى الفرج الأصفهانى جـ١٣/١٥ ط دار الكتب والهيئة العامة للكتاب بالقاهرة، وشرح حماسة أبى تمام/ للشنتمرى ص ٨٩٦. =
= العباب: حى من بنى عجل بن لجيم يريد امرأته رهم وكانت منهم. حاربتنا: أى أكثرت من بذل المال حتى صرنا إلى الحال المحروب، وأراد بالمقعد ما يقعد عليه من الوطأ أى لم تبق لنا شيئاً والصرمة: القطعة من الإبل ما بين العشر إلى الأربعين، والهجمة: ما بين الستين والتسعين، وأسود: اسم أخوه وكان مبذراً ومتلفاً لماله. وزيد واربد: جولدان من قومه ضرب بهما المثل لنفسه. أى أن الإيثار بالمال لا يوجب الموت هزلاً وإمساكه لا يوجب الخلود، فالجود به أولى لما فيه من الفضل، والساحة: الفناء أى إذا نابتنى نائبة من حمالة وغيرها بذلت فيها المال طلباً للسؤدد. أو مصوناً للسيد.

تقول ابنة العبَّاب رُهْمُ،: حَربَتنا خطائِط لم تترك لنفسك معقداً
إذا ما افدنا صرمة بعد هجمةٍ تكون عليها كابن أمَّك أسودا
فقلت وكَمْ أعْىَ الجواب تبينى أكان الهزَالُ حتف زيدٍ وأربدا
أرينى جواداً مات هزلاً لعلتى أرى ما ترين أو بخيلاً مخلداً
ذرينى فما أعيا بما حلَّ ساحتى أسُودُ فاكفانى أو أطيعُ المسودا
ذرينى يكن مالى لعرض وقاية يقى المال عرضى قبل أن يتبدى

ويبين سالم بن قحفان العنبرى ضجر زوجته من إسرافه فى بذل إبله حين أتاه طالبا فأعطاه بعيرا وقال لامرأته: أدفعى له حبلاً فأعطته ثم أعطى بعيراً ثانياً وثالثاً على تلك الحالة حتى ضجرت زوجته ورمت إليه خمارها فقال موجهاً خطابه إليها ﴿علىَّ الجمال وعليك الحبال﴾ وأنشد موجهاً حديثه إلى زوجه محاولاً استمالتها وحثها على مشاركته فى هذا العطاء(١).

لا تعذلينى فى العطاء، ويسرى لِكُلِّ بعير جاء طالبه، حبلا
فإنى لا تبكى علىَّ إفالها إذا شبعت من روض أوطانها بقلا
فلم أرَ مثلَ الإبل مالاً لمقتنٍ ولا مثل أيام الحقوق لها سبلاً

ويبدو أن الزوجة كانت حكيمة وعاقلة وشديدة الإعزاز والتقدير لهذا الزوج يظهر هذا من استجابتها لدعوة زوجها بل وحسها إياه على

(١) أمالى القالى/ أبى على القالى ٤/٢ ط دار الكتاب المصرية، شرح حماسة أبى تمام/ للشنتمرى مجلد ٢ ص ٦٨١/ الإقال: صغار الإبل وأحدها: أفيل والفيلة وخصها لبيان أن لو كانت تلك الصغار لا تبكى لفقده فالمثان الجلة العظيمة فينبغى أن تهان وتجذل: بقلا: غذاءًا، والمقتنى: المكاسب، والسبل: الطرق أى أن الإبل جعلت لكسب المكارم وإعطاء الحقوق وتخليد الذكر الجميل.

العطاء بعد أن انتهى تعللها بعدم وجود حبال، وقسمها له بأنها دوماً ستكون الزوج المعين لزوجها على البذل قائلة:-(١)

وتقسم ليلى يا ابن قحفان بالذى تفردَّ بالأرزاق فى السهل والجبل
تزال جبالٌ، محصداتُ، أعِدُّها لها ما مشى يوماً على خُفِّهِ جَمَلْ
فأعطِ ولا تبخل إذا جاء اتلُ فعندى له عُقْلٌ، وقد زاحت العلل

وهذا هو "حاتم الطائى" الذى يضرب به المثل فى الكرم تغاضبه زوجته ماوية وتتجنبه هاجرة له لمبالغته فى عطائه وبذله ويكثر من محاولاته لاسترضائها ويحاول حاتم أن يبن لها أن الذكر الحسن أخلد وأبقى للإنسان من المال، ويلح فى استمالته لها متوددا إليها مشعراً إياها بحبه الدفين من خلال تكراره لاسمها فى بداية كل بيت واستخدامه الهمزة كأداة نداء ليعبر عن مدى قربها إلى قلبه إذ يقول من الطويل:(٢)

أماويَّ قد طال التجنُّبُ والهَجْرُ وقد عذرتنى من طلابكم العذر
أماويَّ إنَّ المال غادٍ ورائحُ، ويبقى من المال الأحاديث والذكر
أماويَّ إنى لا أقول لسائلٍ إذا جاء يوماً حلَّ فى مالنا نَذْرُ
أماويَّ أما مانعٌ، فمبينُ، وام عطاءٌ يُنَهْنهُهُ الزَّجرُ
أماويَّ ما يغنى الثراءُ على الفتى إذا حشرجت نفس وضاق بها الصدر
أماويَّ إن يصبح صدای بقفرةٍ من الأرض لا ماء هناك ولا خمر
ترّىْ ان ما أهلكت لم يك ضرِّنى وأن يدى مما بخلت به صَفْر

(١) قولها لا تزال حبال أى لا تزال حبالاً أى قد عذرتك فى بذلك لمالك فأعط وأنا معينتك، والمحصدات: المحكمات الفتل. والعقل جمع عقال، وأصله الضم فخفف ويروى خطم وهو جمع خطام. معنى زاحت: بعدت أى لا اعتل عليك فى إعطاء حبل أبداً.

(٢) شعراء النصرانية فى الجاهلية جمع وتحقيق لويس شيخو ١١٠/١٠٩.

وهكذا يحاول حاتم الطائى أن يظهر لزوجته إنها تغاضبه بسبب كرمه الذى لا يستطيع أن يحدَّ منه ولكنها تصرَّ خوفاً من الفقر المحتم عليها وعلى أولادها ألا أن تفارقه ما دام هذا هو منهجه فى الحياة مع علمها مدى حبه لها وحرصه عليها.

وهاهو يصف الحوار الذى دار بينه وبين زوجته الأخرى "النوار" – التى يبدو أنه كان غير حريص عليها حرصه على "ماوية" – تلك "النوار" المغاضبة اللائمة دائماً والتى تصرّ على إيذائه بلسانها ولومه على بذله المال وتعنيفها أياه مع وفرة المال لديها وعدم تقصيره تجاهها مظهرا ضيقه وبرمه من هذا التعنيف قائلاً من الطويل:(١)

وعازلةٍ هَبَّت بليلٍ تلومُنى ... وقد غاب عَيُّوقُ الثُريا فعرَّدا
تلوم على إعطائى المال ضِلَّةَ ... إذا ضنَّ بالمال البخيل وصرَدَّا
تقول ألا امسك عليك فأننى ... أرى المالَ عند الممسكين مُعبدا
ذرينى وحالى إن مالك وافرٌ ... وكلُّ امرئ جار على ما تعودا
اعاذِلَ لا آلُوكِ الا حليقتى ... فلا تجعلى فوق لسانك مبردا
ذرينى يكن مالى لعرضى جُنة ... يبقى المالُ عرضى قبل أن يتبددا
ارينى جواداً مات هزلا لعلنى ... أرى ما ترين أو بخيلاً مخلدا
وإلا فكفى بعض لومكِ واجعلى ... إلىَّ رأى من تَلحيْنَ رأيك مُسنداً
ألم تعلمى أنى إذا الضيف نابنى ... وعزّ القرى اقرى السَّديف المسرهَدَا
أسَوَّدُ سادتِ العشيرة عارفِاً ... ومن دُون قومى فى الشدائد مِذودا
وألقى لأعراض العشيرة حافظاً ... وحقهم حتى أكون المسودَّا
يقولون لى أهلكت مالك فاقتصد ... وما كنت لولا ما تقولون سيدا

(١) المرجع السابق/ ١١٨/١١٩، العقد الفريد لابن عبد ربه تحقيق د. أحمد أمين، د. أحمد زين، د. إبراهيم الإبيارى ٣٣٤/١ ط لجنة الترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٦.

وتتحد الزوجتان على "حاتم" لتوحد مصلحتهما ويصل الأمر بينه وبينهما إلى أن يهدداه بالطلاق إذا استمر على إهداره لماله وتعريض أولاده للمذلة والفقر والسؤال، ويضيق بهما ذرعاً ولكنه لا يأبه لتهديدهما فيقول من الطويل مصوراً لهذه المغاضبة التى تصل إلى أوجها ليلاً عندما يخلد إلى الراحة فتحول راحته إلى شقاء مستمر:

وعـــاذلتين هبـــا بعـــد هجعـــةٍ تلومـــان متلافـــاً مفيـــداً ملوِّمـــا
تلومـــان لمـــا غـــوَّر الـــنجم ضـــلَّة فتى لا يرى الإنفاق فى الحق مغرما
فقلـت وقـد طـال العتـاب عليهمـا واوعـــدتمانى أن تبينـــا وتصـــرما
ألا لا تلومـــانى علـــى مـــا تقـــدما كفى بصروف الدهر للمرء محْكم
فإنكمـــا لا مـــا مضـــى تدركانـــه ولســـت علـــى مـــا فـــاتنى متنـــدما
فنفســـك أكرمهـــا فإنـــك أن تهـــن عليك فلن تُلفى لك الدهر مُكْرم
أهـــن للـــذى تحـــوى الـــتلاد فإنـــه إذا مـــت كـــان المـــال نهبـــاً مقســـماً
ولا تَشـــقينْ فيـــه فيســـع بـــوارثٌ به حين تخشى أغبر اللون أعظما
قليـــلٌ بـــه مـــا يحمـــدنك وارث إذا ســاق ممــا كانــت تجمــع مغنمــا

وقد تغضب الزوجة وتشتعل ثورتها على زوجها إذا رأت زوجها ينفق ماله على أضيافه أو على أصحابه وإخوته ويظهر عليها الجزع بل يصل بها الأمر من شدة الغيظ إحساسها بالعجز عن أن تتصدى لهذا الإسراف بسلاح المرأة الفعال ألا وهو التباكى وافتعال البكاء.

ويصور هذا النمر بن "تولب"[1] مستهزئاً من تباكى هذه الزوجة التى لم تدمع عينها والذى يدل غضبها علىسفهها وحماقتها لأن شراءه

(١) النمر بن تولب بن لقيش الكلى شاعر مقل مخضرم وفدعلى الرسول وكان أحد الأجوار الأسخياء المذكورين والفرسان املعدودين، عمرّ طويلاً حتى خرف واهتر وكان شاعر الرباب فى الجاهلية ولم يكن يمدح أو يهجو وكان أبو عمر بن العلاء يسميه الكيّس لجودة شعره/ انظر الأغانى ج ١٥٧/١٩٨، الإصابة من أسماء الصحابة/ للعسقلانى جـ١/ ٥٧٢/ الخزانة: للبغدادى تحقيق عبد السلام هارون ط ص ٣٢١ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩، والاشتقاق: ص ١٨٣، شرح الحماسة/ للشنتمرى ص ٦٨٣.

للخمر بهذا الجمل المسن وذبحه للقلائص الأربع ليكرم أضيافه وأخوته ليس بالشئ العظيم لأنه طالما أنفق أكثر من هذا بكثير قائلاً من الكامل:(١)

قالت لتعذلنى من الليل: اسمع ... سفه تبيِّتك الملامة فاهجعى
لا تجزعى لغدٍ وأمرُ غدٍ له ... اتعجلين السرّ ما لم تمنعى؟
قامت تُبكيِّ أن سابتُ لفتيةٍ ... زقاً وخابية بعودٍ مُقطع
وقريتُ فى مَقْرىً قلائص أربعاً ... وقريتُ بعد قِرَى قلائص أربع
أتبكيا من كل شئ هين ... سفهُ بكاء العين ما لم تدمع
فإذا أتانى إخوتى فدعيهم ... يتعللوا فى العيش أو يلهوا معى
لا تطرديهم عن فراشى إنه ... لابد يوماً أن سيخلو مضجعى
هلا سألت بعادياء وبيته ... والحَلَّ والخمر التى لم تمنع
لا تجزعى إن منُْفسٌ أهلكتهُ ... وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعى

وقد يكون الخمر وإهدار الأموال فى شرائها هو نقطة الخلاف بين الزوجين فبينما يرى الرجل الجاهلى أن من سمات الفتوة والكرم معاقرة الخمر والجود بها ترى الزوجة أن الخمر إهدار للمال الذى هى وأولادها أحق به وأن مثل هذا السلوك من الزوج فيه سفه يعرضها وأولادها للفقر وذلّ السؤال.

وهاهو الشاعر الجاهلى يقص لنا تلك المغاضبة التى دارت بينه وبين زوجه بسبب بيعه لإحدى الإبل واقتنائه بثمنها خمرا، ورد فعله تجاه هذا الغضب الذى تبلور فى إصراره على مسلكه بل وتهديده لزوجه بالمبالغة فى الشرب إن لم تكف عن اللوم والتعنيف فإذا بتهديده لا يخلو من تصوير فكه ساخر إذا يقول من الكامل:(٢)

(١) خزانة الأدب للبغدادى/ جـ١ ص ٣٢١، تبكى: تصيح للبكاء، خابية جرة عظيمة. عود: المسن من الإبل، مقطع: مهزول، والمراد بالبخل والخمر: أنه كان يجود بنوعيها. عادياء: أبو السموءل.
(٢) الأمالى/ لأبى على القالى ١/١٥٠.

غضبتَ علىّ لأن شربت بجزّة فلنُن أبيت لأشربَنْ بخَروف
ولئن غضبت لأشربنَّ بنعجةٍ دهساءَ مالته الإناء سَعوف
ولئن غضبت لأشربنَّ بناقةٍ كوماء ناوية العظام صفوق
ولئَّن غضبت لأشربنَّ بسابح نَهْدٍ أشم لمنكبين مُنيف
ولئَّن غضبت لأشربنَّ بواحدى ولأجعلن الصبر منه حليفى

ويبدو أن الشاعر قد نفذ تهديده فضرب بشاة بدلاً من جزة الصوف التى لامته عليها زوجه إذ يقول فى مقطوعة أخرى:(١)

ناحت رقية من شاةٍ شربت بها ولا تنوح على ما يأكل الذيب

وتتبارى زوجته لترد له الصاع صاعين مظهرة عدم مبالاتها بعناده الذى يبدو أنه قد أثارها لدرجة تهديها له بالفراق وحرمانه من ابنه فإذا هى تتخذ سلاح الأولاد لتضغط به على هذا الزوج الذى يبدو لى أنه كان شديد التعلق والحنو على ابنه وإلا لما هددته بحرمانه إذ تقول مناقضة له:(٢)

ما إن عتبت لأن شربت بصوفة أو أن تلذ بلقحة وخروف
فاشرب بكل نفيسة أوتيتها وملكتها من تالدٍ وطريف
وارفع بطرفك عن بنى فإنه من دون شغب وجدع أنوف

وقد لامت الزوجة فى الجاهلية زوجها على شرب الخمر ولكن الرجل الجاهلى كان يقابل ذلك اللوم بالتعنيف والعناد والإصرار على هذا المسلك لأنه يرى أن الخمر هى الثناء والفخر، وأنها لب الحياة،و هى خيرُ من زوجته اللائمة ومن الثروة والأولاد يتضح ذلك من حوار الشاعر

دهساء: محمرة اللون أو عظيمة الإلية. سجوف: عليها طبقتان من الشحم. كوماء: عظيمة السنام. ناوية العظام: سمينة.. صفوف: غزيرة

(١) شواهد المغنى/ للسيوطى ٢٠٧ ط مط البهية بمصر ١٣٢٢.

(٢) هامش البيان والتبين جـ٣/ ٣٤٤.

الجاهلى سُحيم بن وثيل لزوجته حدراء التى لا ترى فيه عيب إلا هذه الخلة حيث يقول من الخفيف:(١)

تقول حدراء ليس فيك سوى الخمـ ـــر معيـــب يَعيبـــه أحـــد
فقلت: أخطأت بل معاقرتى الخمـ ـــر وبـــذلى فيهـــا الـــذى أجـــد
هـــو الثنـــاء الـــذى ســـمعت بـــه لا سَـــبَدٌ مخلـــدى ولا لبـــدَ
ويحك لولا الخمور لم أحفل العيـ ـــش ولا أن يضـــمنى لَحَـــدَ
هـــى الحيـــاة والحيـــاة واللهـــو لا أنـــت ولا ثـــروة ولا ولـــد

ويبدو أن تصرفات الزوج المالية كانت دومًا نقطة الخلاف بينه وبين زوجه الحريصة دائماً على أن يقتصر مال زوجها عليها وعلى أولادها، وقد يصل حرصها إلى أن تغاضب زوجها لاهتمامه بأولاد أخيه الأيتام الذى طالما كان له نعم الأخ، وتصر على إعطائهم القليل الذى يجعلهم فى مصاف السائلين والمحتاجين.

فها هو الشاعر "حجية بن المضَّرب"(٢) يرى زوجته تبعث جاريتها بقعب لبن إلى أولاد أخيه الأيتام فيغضب لمعاملتها لهم هذه المعاملة السيئة ويريق اللبن ويأمر راعيه أن يريح أبله كلها على أولاد أخيه حتى يكفيهم ويغنيهم، فتغضب زوجته "زينب" غضباً شديداً لمثل هذا التصرف ويشتد غيظها من أنفته لإهدائها إلى أولاد أخيه لبناً فى قعب كما يجاد على السائلين ومحاولتها الفاشلة لإخضاعه لها بتزينها وتكحلها لأنه ليس بالأحمق الذى يصرفه جمال المرأة والحرص على إرضائها عن أداء واجبه

(١) البيان وتبين/ جـ ٣ ص ٣٣٤.

(٢) حجية بن المضرب: شاعر جاهلى مقدم كان يكنى بأبى حوط وكان سيدا فى قومه وكان له أخوان هما املنزر بن المضرب ومعدان بن المضرب فمات معدان وتكر بنيه صغاراً وذكر بن دريد أنه أدرك الإسلام. انظر الأغانى ٣١٥/٢٠، والاشتقاق/٣٧١، المؤتلف والمختلف/ للأمدى تحقيق عبد الساتر أحمد فرج ص١٩٦، ٢٧٩، ٢١٦ ط عيسى الباب الحلبى القاهرة ١٩٦١.

نحو أولاد أخيه وفاءً لأبيهم طالما كان له نعم الأخ والمعين فيقول من الطويل مصوراً ذلك النزاع الدائر بينه وبين زوجته الذى خيرها فيه بين أن ترضى ببره لأولاد أخيه وتبقى معه فى أحسن حال أو أن تذهب مفارقة إياه ما دامت رافضة لهذا البر.(١)

لججنا ولجت هذه فى التغضب ... ولط الحجاب دوننا التجنب
وخطت بعود أثمد فوق عينها ... لتذهب عقلى بالنواكه زينب
تلوم على مال شفانى مكانه ... فلومى على ما فاتك اليوم وأغضبى
ولا تحسبينى بلدما إذ نكحته ... ولكننى حجية بن المضرب
فإن تجلسى فأنت أقفى عيالنا ... وإن تكرهى هذه المعيشة فاذهبى
رحمت بنى معدان إذ ساف مالهم ... وحق لهم منى ورب المحصب
ولما رأيت النفس ألا تقرها ... هدايا لهم فى كل قعب مسعب
رثيت لما رأيت سوامهمْ ... عطاء الموالى من أفيل ومصعب
فقلت لعبيدنا: أريحا عليهم ... سأجعل بيتى مثل آخر معذِب
فقلت: خذوها واعلموا إن عمكم ... هو اليوم أولى منكم بالتكسب
عيالى أحق أن ينالوا خصاصة ... وأن يشربوا رنقا إلى حين مكسب
أحابى بها قبر امرئ لو أتيته ... حريبا لآسأنى على كل مركب
أخى والذى أن أدعه لعظيمة ... يجبننى وإن أغضب إلى السيف يغضب

ولم يقتصر غضب الزوجة ولومها على أن تلوم فى الكرام أو إهدار الأموال فى الخمر أو أداء حق لذى رحم بل تعدى ذلك إلى اللوم

(١) معجم الشعراء/ للمربانى ص ٥٦ الأغانى/٢٠/٣١٥، وشرح حماسة أبى تمام/ للشنتمرى ص ٦٢٤-٦٢٥ وردت هذه القصيدة مع حذف البيت الثانى والرابع والخامس والسادس والثامن والعشر والثانى عشر ومع بعض التغيير.

= اللط: الستر: أى أرخت الحجاب بينى وبينها، إعراضاً عنى وغضباً علىّ لأنى أثرتهم بمالى وبلدما أحمق ثقيل لحيم، أقفى عيالنا: خيرهم، النواكة: الحمق. ساف: نفد. شفانى مكانه: أى سترنى بذله وشفى ما بنفى من الحزن لبنى أخى. أفيل: ولد الناقة، المصعب: فح من الإبل، حريب: فى شدة.

فى إعزاز الخيل وتقديم اللبن لها مع علمها بأهمية رعاية الجاهلى لخيله وإيثاره لها أحياناً على نفسه وأهله، لأنها عصب حياته فى تلك البادية.(١)

بل قد يكون هذا الإعزاز للخيل وتقديم اللبن لها هو نقطة خلاف مشتعلة بين الزوجين فبينما يرى الزوج إن إعزاز الخيل وتقديم اللبن لها والعناية بها شئ ضرورى وهام للحفاظ على حياته وحياة ذويه فبه يكون الدفاع عن النفس والأهل والمال، وهو وسيلة الرزق، والنجاة من الهلاك ترى الزوجة أن تقديم اللبن لها إسراف لأن أولادها أولى بهذا اللبن خاصة عندما يشتد عليهم الأمر.

نرى ذلك من خلال المشادة الكلامية التى دارت بين الشاعر قبيصة بن النصرانى الجرمى وبين زوجه والتى يصورها بقوله من الرجز(٢)

أهاجرتى يا ابنة آل سعدِ أأن حلبت لقحة للورد
جهلتِ من عنانه الممتد ونظرى فى عطفه الألدِّ
إذا جياد الخيل جاءت تردى مملوءة من غضبٍ وحردِ

وهاهو "الأعرج المعنى"(٣) من طى يصور تلك المغاضبة وهذا التفجع والثورة، وكثرة لوم زوجته أم سهل له لإيثاره فرسه بشربة لبن مؤكداً

(١) الحياة العربية من الشعر الجاهلى/ د. أحمد محمد الحوفى ٢٥٧ ط نهضة مصر ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م.

(٢) شعراء الصنرانية، فى الجاهلية/ ص ٩٥: شرح حماية أبى تمام/ للشنتمرى المجلد الأول ص ١٨٥: ١٨٦ اللقحة: الحديثة النتاج من الإبل والورد: فرسه/ عنانه الممتد: كناية عن طول عنقه وجريه ملئ عنانه وعطفيه: جانبيه. الإلد: الذى لا ينثنى عن الإقدام وأصله الخصم الذى لا ينثنى عن خصمه والرديان:/ سير سريع فى شدة وطء، وأصل الردى: قرع الحجر ليكسره والحرد: شدة الغضب والقصد..

(٣) "الأعرج المعنى": هو عدى بن عمرو وقيل سيد بن عدى شاعر مخضرم كان له ابنا يدعى بشارا، وفى شعره ما يدل على أنه صنع صنيع لبيد أى أنه ترك الشعر.

لها أنه أنفع منها فى ساعة الكريهة مؤكداً ذلك برسم صورة هزلية ساخرة لها ساعة الروع حيث يقول من البسيط:(١)

أرى أم ســـهل مـــا تـــزال تفجَّـــع تلـوم مـا تـدرى علـى مـا توجـع
تلـوم علـى أن امـنحَ الـوْردَ لقحـة ومـا تسـتوى الـورد سـاعة افـزع
إذا هـــى قامـــت حاســـرا مشـــمعلة نخيـــب الفـــؤاد رأســـها مـــا يقنـــع
وقمـــت إليـــه باللجـــام ميســـرا هنـاك يجزينـى الـذى كنـت أضـع

وقد يضن الشاعر بفرسه مع شدة حاجته إلى ثمنه من شدة إعزازه له وتعلقه به وقد يسبب هذا التمسك بالفرس إثارة حفيظة الزوجة التى ترى أنهم فى حاجة ماسة إلى ثمن هذا الفرس أفضل من الاحتفاظ به فى وقت الحاجة المدقع خاصة وأن ثمنه قد زاد وارتفع مما يغرى ببيعه وتحاول باستماتة وإلحاح شديد إقناعه ببيعه، فتقوم المغاضبة خاصة وقد أصر الزوج على تمسكه بفرسه.

وفى ذلك يقول "حاجب بن حبيب الأسدى"(٢) من المتقارب مصوراً الحوار الذى دار بينه وبين زوجه فى تلك المغاضبة التى كان سببها تمسكه بفرسه "ثادق"(٣)

(١) شرح حماسة أبى تمام/ للأعلم الشنتمرى المجلد الأول ص ٤١٦، تفجعت: أظهرت التفجع، وما تستوى والورد ساعة افزع: أى هو يحميى ويحميها فإذا دهما العدو فكيف لا أوثره عليها؟. (الحاسر) الكاشفة عن رأسها عند الهرب. والمشمعلة: السريعة فى هربها والنخيب: الفزعة، الجبان.

(٢) حاجب بن حبيب الأسدى: هو حاجب بن حبيب بن طريف بن عمر بن قعين الشاعر الجاهلى الذى يجتمع نسبه مع الجميح الأسدى فى ظريف بن عمرو، أنظر المفضليات/ ص ٣٦٨.

(٣) المفضليات/ ٣٦٨/٣٦٩ والأصمعيات/ تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ص ٢٢٠ ط دار المعارف ط الخامسة سلسلة ديوان العرب، مجمعة من عيون الشعر (٢).
ثادق: اسم فرسه/ يشرى: يباع وإنما أخذته امرأته ببيع فرسه لشدة إصابتهم فى سنة جدب، النجوى: السر يقول لزوجته أسواء على أم أسررت الملامة فيه أم أعلنتيها فإنها منك غير مقبولة فى حاليك جميعها، ثاب: زادت أثمانها/ كريمة المكبة على الأعداء: أى يهزمهم حين يحمل عليهم. مبدانها: سمينها، الكميت أحب الألوان فى الخيل عند العرب، أمر: قوى فتل كما يفتل الحبل. الزفرة: الواحدة من الزفير كأنه ظفر فطوى على ذلك، عريانها: أى ممحص القوائم ليس به رهل.

باتـــت تلـــوم علـــى ثـــادق ليشـــرى فقـــد جـــد عصـــيانها
ألا أن نجـــواك فـــى ثـــادق ســـــواء علـــىّ وإعلانهـــا
وقالـــت: أغثنـــا بـــه أننـــى أرى الخيـــل قـــد ثـــاب أثمانهـــا
فقلـــت: ألـــم تعلمـــى أنـــه كـــريم المكبـــة مبـــدانها
كُميـــتٌ أمِـــرَّ علـــى زفـــرةٍ طويـــل القـــوائم عريانهـــا

ثانياً: تغير حال الزوج من الشباب إلى المشيب ومن الغنى إلى الفقر:

تبرم الزوجة بكل من الشيب والفقر خاصة فى هذا المجتمع الجاهلى القائم على مبدأ البقاء للأقوى، والتى تربت فيه الفتاة على أن تحفل بالغنى والشباب وربما كان من أهم دوافع رضاها بهذه الزيجة. فهى تعد فقده لماله أو لشبابه فقد الكفاءة بينهما خاصة إذا كانت شابة يرغب فيها ومن قوم ذوى غنى ويسار، قادرين على أن يكفلوها حق الكفالة ولا تجمعها بزوجها علاقة زوجية قوية، وعميقة تجعلها تستطيع الصبر وتحمل الفاقة حتى تتحسن أوضاعه أو تتحملخ فى ضعفه وكبر سنه، وتجعلها شديدة الحرص على ألا تتصرف أدنى تصرف يؤذى شعوره حرصاً عليه وعلى حسن عشرته مهما حاول أهلها وذووها تقليبها عليه؛ حرصاً منهم عليها غير آبهين إلا بما يروا فيه مصلحتها الشخصية ولذا وجدنا العديد من الزوجات يتبر من فقر أزواجهن ومشيبهم ويضقن ذرعاً بما وصلت إليه حاله الزوج من فقد المال أو الشباب أو لكليهما معاً مما يشعر الزوج بألم ممض، لأن تنكر زوجته له أشد قسوة وإيلاما من تنكر الناس جميعاً.

ولقد أدرك الزوج الجاهلى من خلال خبراته الحياتية وتفهمه لنفسية المرأة تبرم المرأة ورفضها للأشيب والمعدم من الرجال وإعراضها عنهم يقول علقمة مؤكدًا ذلك:(١)

فإن تسألونى بالنساء فإننى بصير بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قلَّ ماله فليس له فى ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه وشرخ الشباب عندهن عجيب

وأن بدى هذا صحيحاً إلى حد ما فى أن الشاب والغنى يكونا أشد قبولاً خاصة للزوجات الغريرات فلا ينبغى أن نعمم هذا الرأى متغافلين عن أن المعاملة الحسنة للمرأة بعد الزواج قد تؤثرها أكثر من الغنى والشباب خاصة إذا كانت عاقلة تدرك أن من سنة الحياة تقلب الأمور، فالغنى يعقبه فقر والفقر يعقبه غنى، كما أن الشباب يعقبه المشيب، وأن الأهم هو حسن المعاشرة وحسن الصحبة التى تجعلها تتحمل وتصبر على مصاعب الحياة ومرها كما تمتعت بحلولها ورغدها وفاء لزوجها وحرصاً عليه وأملاً فى تحسن الأوضاع إلى أفضل مما كانت عليه.

ولهذا حرص "عروة بن الورد" علىأن يترك زوجه ويذهب للإغارة لعله يكفيها الفقر ولا يعرض نفسه لألم ازدراء الزوج ونفورها وازدراء القوم ونهر الصغير له مصورًا نظرة المجتمع الجاهلى للفقير وموازناً بينها وبين نظرته للغنى بقوله من الوافر:(٢)

ذرينى للغنى أسعى فإنى رأيت الناس شرهم الفقير
وأهونهم وأحقرهم لديهم وأن أمس له نسب وخير

(١) المفضليات/ ٣٩٢.

(٢) ديوان عروة بن الورد/ شرح ابن السكيت ص ٢٠ ط بيروت لبنان، وشعراء النصرانية فى الجاهلية/ ص ٨٨٨.

ويقصى فى الندىّ وتزدريه حليلته وينهره الصغير
ويُلقى ذا الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جمٌّ ولكن للغنى ربّ غفور

وهاهو "عبيد بن الأبرص"(١) يذكر مغاضبة زوجته له وإساءتها لمعاملته بعد إن قل ماله وتقدم به العمر مبيناً برمه بتبرمها ونفورها، منه متسائلاً إن كان هذا النفور دلالاً أم رغبة فى البين والانفصال، منكراً عليها كلتا الحالتين فهى الآن ليست أهلاً لدلال، لأنها قد تغير جمالها منذ زمن، وإن أرادت الفراق فلتهم به أما إذا أرادت الحياة معه والاستمرار فالأجدر بها أن تكف عن شدة اللوم والمغاضبة والإعراض والتعيير المستمر أن تكف عن ما تفعله من حركات تعبر بها عن تبرمها وتحسرها وندمها مثل مط الحواجب وما يتبعه من حركات جسدية ولتعيش معه راضية آملة وراجية تغير الأحوال إلى الأفضل، محذراً إياها من انسياقها وراء من يحرضونها على مفارقته ومن يهيئوا لها الأكاذيب بأنها تستطيع أن تستبدله بزوج آخر أفضل منه لأنها لا تدرى أن هذا الزوج يكون بخيلاً أو معدماً أو لئيماً قائلاً من الخفيف:(٢)

تلك عرسى غضبى تميز حلالى ألبين تريد أم لدلال؟
أن يكن طبك الدلال فلوفى سالف الدهر والليالى الخوالى
ذاك إذا أنت كالمهاة وإذ آ تيك نشوان مرخياً أذيالى

(١) عبيد بن الأبرص: هو الشاعر الجاهلى المشهور عبيد بن الأبرص بن جشم بن عامر بن هر بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن داود ابن أسد بن خزمية بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نذار عاش طويلاً فى الجاهلية.

(٢) مختارت بن الشجرى/ تحقيق محمد البجاوى ص ٣٨٢ ط دار نهضة مصر للطباعة والنشر بالفجالة ط ١٩٧٥.

تميز حلالى: تعزل الفراش والمتاع هجرة له، طبك: إرادتك، ضن عنى الموال، يخلوا بالمواساة لى: لا تأخذى بمثالهم: الذى يمثلون لك من القطيعة، وأقنى: ألزمى:

أو يكـن طبـك الـذيال فـأن الـ	بـين أن تعطفـى صـدور الجمـال
زعمـت أننـى كبـرت وأنـى	قـل مـالى وضـن عنـى المـوالى
وصـحا بـاطلى وأصـبحت كهـلاً	لا يُـؤاتى أمثالهـا أمثـالى
أن رأتنـى تغيـر اللـون منـى	وعـلا الشـيب مفرقـى وقِـذالى
فارفضـى العـادلين واقنـى حيـاء	لا يكونـوا عليـك خـط مثـال
ودع مـط حجابـك وعيشـى	معنـا بالرجـاء والتأمَـل
وبحـظ ممـا نعـيش ولا تـذ	هـب بـك الترهـات فـى الأهـوال
مـنهم ممسـكٌ ومـنهم عـديمُ	وبخيـلٌ عليـك فـى بُخَّـال

ويبدو أن زوجته كانت كثيرة اللوم والمغاضبة له، وإنها لا يحولها عتابه وملاحته إلا فى وقت الراحة والحاجة الماسة للخلود إلى النوم ومما أثار حفيظته وسخريته منها ومن جهلها الذى جعلها تتصور أنه يملك التحكم فى شبابه وكبره وهرمه مبيناً لها أنها تعاتبه بعنف على كبر سنه وزوال شبابه وهو لا ذنب له فى زوال هذا الشباب ولا يملك أن يبقيه وإلا كان أحرص منها على إبقائه لزهوه به وبما يفسحه أمامه من مجالات اللهو المتنوعة فهو لم يهبه لأحد، ولم يبعه حتى تلومه وتعنفه هذا التعنيف الشديد الذى جعله يدعو عليها قائلاً من البسيط:(١)

هبـت تلـوم وليسـت سـاعة اللاحـى	هـلا انتظـرت بهـذا اللـوم إصـباحى
قاتلهـا الله تلحـانى وقـد علمـت	أن لنفسـى إفسـادى وإصـلاحى
كـان الشـباب يلهينـا ويعجبنـا	فمـا وهبنـا ولا بعنـا بأربـاح

وهاهو عبيد بن الأبرص الذى يبدو أنه قد ذاق وعانى الأمرين من زوجه التى لم تترك ضرباً من ضروب وصور وأساليب المغاضبات

(١) مختارات بن الشجرى ص ٣٧٤ اللاحى: اللائم بشدة، أصباحى: دخوله فى الصيح، تلحانى: تلومنى يقول كان الشباب يعجنى ويفسح أمامى مجال اللهو، ولكنى ما بعته ولا وهبته وما ربحت فى ذهابه ولكنه ذهب قسراعتى.

النسائية إلا وقد سلكتها معه نتيجة لعدم تقبلها لكبر سنه فيقول مصوراً بدقة فائقة صور إعراضها واستخفافها به من حيث الفعل والقول والحركات فيقول من الوافر :(١)

ألا عتبت على اليوم عرسى	وقد هبت بليل تشتكينى
فقالت لى كبرت فقلت حقاً	لقد أخلفت حيناً بعد حين
ترينى أية الإعراض منها	وقطت فى المقالة بعد لين
ومطت حاجبيها أن رأتنى	كبرت وان قد أبيضَّت قرونى
فقلت لها: رويدك بعض عتبى	فإنى لا أرى أن تزهدينى
وعيشى بالذى يغنيك حتى	إذا ما شئت أن تنأى فبينى
فإن يك فاتنى أسفاً شبابى	وأضحى الرأس منى كاللجين
فقد ألج الخباء على عذارى	كأن عيونهن عيون عين
يمنن على بالأقراب طورا	وبالأجياد كالرّيط المصون
وأسمر قد نصبت لذى سناء	يرى منى مخالطة اليقين
يحاول أن يقوم وقد مضته	مغابنة بذى خرص قطين
إذا ما عاده منها نساء	سفحن الدمع من بعد الرنين
وخرق قد ذعرت الجون فيه	على أدماء كالعير الشنون

(١) مختارات ابن الشجرى/ ص ٣٤٠:٣٣٨ قطعت: غلظت فى الكلام بعد ما كانت تلايننى، وأية: علامة، وقطت: أى قطعت وفى الديوان فظت، تزدهينى: تستخفى، اللجني: لغام الإبل شبه شعره به من شدة بياضه، القرين:الصاحب أى انقطعت عن اللهو أى لما تركته وأصبح لا صاحب له. والعين: يقر الوحش الواحدة عيناء، والأقراب: الخواصر وأحده أقرب، الأحياد: الأعاق الربط الملاءة شبههم فى بياضهم واندفاعهم إليهم وقربهم منه بالملاءة. لذى سناء: الذى شرف ورفعة، الأسمر: يريد به الرمح يرى منى مخالطة اليقين: للحد فى قتله، نصبت: رفعت، مضته مغابنة: أى طعنته طعنة مغابنة من لحمه مضته نفذته وأمانته، الخرص: السنان: قتين مدبب الرأس، سفحن: صببن: والرنين: الصوت المرتفع، الخرق: البعيد الواسع من الأرض، الجون: الظلمان وتكون البقر أيضاً والظباء لبياضاها، والشنون: بين السمين والمهزول.

ويذكر "الحطيئة" عتاب ولوم زوجه له وإغضابها إياه لفقره وحاجته مظهراً شدة عتباها له الذى كان أكثر إيلاماً من الأفعى السامة المميتة التى لا ينفع معها دواء قائلاً من الوافر:(١)

ألا هبت أمامة بعد هدءٍ تعاتبنى وما قضت كراها
فقلتً لها أمامُ ذرى عتابى فإن النفس مبدية ثناها
وليس لها من الحدثان بد إذا ما الدهر من كثبٍ رماها
فهل أبصرت أو خبرت نفساً أتاها فى تلمسها مناها
كأنها ساورتنى ذات سم نقيع لا تلائمُها رقاها

وقد يصل الأمر بالزوجة أن تسأل زوجها الطلاق بسبب عدم قوتها على الصبر على فاقته ولا يجد الزوج أمامه ألا أن يهدئ من روعها عسى أن يكون هذا القرار وليد اللحظة. ممنياً إياها بالرخاء والغنى واليسر. فهذا هو "سعيد بن عمرو بن نفيل" يمنى زوجتيه وقد سألتاه الطلاق لما افتقر بأن ماله قد يكثر فيقتنى العبيد والخدم والإماء يمتعهما ويكسوهما أحسن الكساء قائلاً من الخفيف:(٢)

تلك عرسى تنطقان على عمـ ـد لى اليوم قول زور وهتر
سألتنى الطلاق أن رأتا ما لى قد جئتمانى بتخر
فلعل أن يكثر المال عندى ويعرى المغارم ظهرى
وترى أعبد لنا وأواق ومناصيف من خواد عشر
وتجر الأذيال فى نعمة زول تقولان: دع عصاها الدهر

(١) مختارات بن الشجرى/ ص ٤٧١، نثاها: خبرها الذى تكتمه، والحدثان: نوتائب الدهر، الكثب: القرب والتمكن. يقول هل خبرتى نفساً أتتها منيتها فى كل ما تحب، فاقصرى عنك عتابى.

(٢) البيان والتبين/ ٢٣٥/١.

وهاهو "الخليفة بن حمل بن عامر" الشاعر الجاهلى الملقب "بذى الخرق"(١) يصور لنا تلك المغاضبة التى كانت بينه وبين زوجه أم حبيش وعبوسها فى وجهه وخصامها له وانقضاضها عليه عندما وجدت أبله مهزولة التى لا تحمل إلا الخرق قائلا من البسيط:(٢)

ما بال أم حبيش لا تكلمنا لما افترقنا وقد نثرى فنتفقُ
نُقطِّع الطرف دونى وهى عابسة كما تشاوس فيك الثائر النق
لما لما رأت إبلى جاءت حمولتها غرثى عجافا عليها الريش والخرق
قالت: ألا تبتغى ما لا تعيش به مما تلاقى وشر العيشة الرمق
فينى إليك فإن معشر صبر فى الجدب لاخفة فينا ولا نزق
أنا إذا حطمه حتَّت لنا ورقا نمارس العود حتى ينبت الورق

ويبدو أن "الجميع الأسدى"(٣) الفارس الجاهلى المغوار قد مر بهذه التجربة وبتلك المغاضبات الزوجية فنراه غاضباً على زوجته لصدها عنه وامتناعها عن محادثته ويحتد فى معاتبتها على سلوكها هذا ساخراً منها، ومن سلوكها الطفولى، وموبخاً لها على هذا المسلك الذى لا يجد له سبباً إلا ضيقها وتبرمها بفقره. محاولاً بعد هذه الثورة استمالتها واسترضاءها والتسرية عنها وتعزيتها بالأمانى والوعود لأنه لا يريد أن تصل المشاجرة

(١) ذى الخرق: لقب لثلاث شعراء كلهم من بنى طهية أحدهم قائل هذا الشعر وكان من فرسانهم.

(٢) خزانة الأدب/ جـ١ ص ٢٠ المؤتلف ١٠٩-١١٠ وشرع القاموس: ٦: ٣٢٨-٣٢٩، والأصمعيات/ ص ١٣٣.

تشاوس: تنظر بمؤخرة العين، غرثى: جياع/ عجاف: هزلى لا لحم عليها ولا شحم، الرمق: القليل من العيش الذى يملك الرمق وهو بقية الحياة، فينى إليك: ارجعى إلى نفسك الحطمة: السنة الشديدة لأنها تحطم كل شئ، حت الورق: قشره. نمارس – الممارسة شدة العلاج.

(٣) الجميع الأسدى: هو منقذ بن الطماح بن قيس أحد فرسان بنى أسد المعدودين يوم جبلة وبه قتل،وهو من الشعراء الجاهليين المقلين، أنظر ترجمته فى المفضليات/ص٣٤، الشعر الجاهلى د. محمد النوهى ٧٨٠/٢.

بينهما إلى حد القطيعة بسبب إعزازه لها الذى جعله يرجع باللائمة على نفسه ويقر بأن فقره هو أصل المشكلة فإذا بحكمة الشيوخ تسيطر على الموقف وعلى تلك المغاضبة الزوجية فى محاولة دائبة للتخفيف منها قائلاً من البسيط[1]

أمست أمامة صمتا، ما تكلمنا مجنونة أم أحست أهل خروب
مرت براكب ملهوز، فقال نها: ضرى الجميع! ومسية بتعذيب
ولو أصابت لقالت، وهى صادقة أن الرياضة لا تنصبك للشيب
يأبى الذكاء ويأبى أن شيخكم لن يعطى الآن عن ضرب وتأديب
أما اذا حردت حردى فمجرية جرداء تمنع غيلا غير مقروب
وأن يكن حادث يخشى فذو علق تظل تزجره من خشية الذيب
فإن يكن أهلها حلو على قضة فإن أهلى الأولى حلو بمحلوب

(١) المفضليات/ ٣٤: ٣٦،

خروب: اسم مكان، وفيه أهلها، ملهوز: جمل موسم بوسم تحت منبت لحيته. وكانت قبائل العرب تسم كل منها أبلها بعلامة خاصة فى موضع معين من جسم الحيوان، وتختلف تلك الوسوم شكلاً وحجماً وطولاً .. ولكل = منها اسم خاص ووصف دقيق، الرياضة، راض الحصان كبح جماحه، لا تنصبك: لا ناهية وفاعلة ضمير يعود على الرياضة أو على المخاطب، وانصب: أتعب الشيب: جمع أشيب، حردت حردى: قصدت نحوى، مجرية: لؤة ذات جراء والجراء جمع جردة وهو ولد الحيوان جرداء: أى لا شعر لها لأن البؤة ليس لها شعر الأسد ولبده. الغيل: الشجر الملتف تعيش فيه الأسدو. غبير مقروب: لا تسمح لأحد الاقتراب منه أن فيه أطفالها. علق: جمع علقة وهو القميص بلا كمين وكان لباس أطفال العرب فهو يشبهها بالطفل فى وقت المخافة. قضة: مكان حسين على طريق تهامة. فهى من بيت رفيع من بنى سعد ومن أعز قبائل تميم. ملحوب: ماء لبنى أسد أى على رأس كل فاهله من بيوتات أسد. التجنيب: جفاف الضرع. الحق ما يبذل فى مال من هبة أو معروف. الصرمة: القطعة من الأبل حوالى الثلاثين. غير مغلوب: يستطيع بسهولة أن يرعاها لقلة عددها وهزالها وضعفها. حمرا: يشبه أبله بالحمر المستأنسة لضعفها وهزالها. الأبارق: جمع أبرق: وهو المكان الصخرى المختلط الرمل بالحجارة. مكران: اسم موضع اللوب: جمع لابة وهى الحرة أى الجبل الأسود وهى هنا موضوع بعينه تختفض: ترضى بالإقامة بيننا فيكون بقاؤك معنا عن رضى لا عن كره، والفعل خفض بالمكان: أقام. كرى: هجوم على القبائل الأخرى لسلب أموالها. تغريبى: ذهابى بعيدًا فى البلاد الغريبة. لقنى. لقينى حياؤك واحتفظيه والوميه، تحتلبى: تحلبى لبناً كثيراً. سحبل: وعاء كبير يوضع فيه اللبن. مسوك: جمع مسك وهو الجلد. منجوب: مدبوغ.

لمـــا رأت أبلـــى قلـــت حلوبتهـــا وكـــل عـــام عليهـــا عـــام تجنيـــب
كـــأن راعينـــا يحـــدو بهـــا حمـــرا بـــين الأبـــارق مـــن مكـــران فـــاللوب
أبقـى الحـوادث منهـا – وهـى تتبعهـا والحـــق صـــرمة راع غيـــر مغلـــوب
فـــإن تقـــرى بنـــا عينـــا وتختفضـــى فينـــا وتنتظـــرى كـــرى وتغريبـــى
فـــاقنى لعلـــك أن تحظـــى وتحتلبـــى فى سحب من مسول الضان منجوب

ثالثاً: ومن أسباب المغاضبات الزوجية الإساءة إلى ذوى القربة

الإساءة إلى ذوى القربى مما يثير حمية الطرف المساء إليه الذى يشعر بأن الطرف الآخر لا يراعى ذويه بل يتعمد الإساءة إليه فى شخص أهله وتأنف حمية الزوج والزوجة الجاهلية أني تغاضبا عن تلك الإساءة ويتجاوزاها فها هى "الزهراء" أخت "كليب" يتزوجها "لبيد" بن عنبسه الغسانى – والى ربيعة من قبل اليمن تجد فى حديث يبنهما أن زوجها يحقر من شأن أخيها كليب فتقول له محاولة الرد على تحقيق أخيها "لا أعلم فى العرب ذا لبدة أشجع منه فهاج لبيد ولطمها، وقال لها أنت أمتى فاقبلى ما آتيك منا نحن الملوك فقالت له أنا أكرم منك وفارقته غضبى، حتى انتهت إلى كليب قائلة من الطويل:(١)

ما كنت أحسب والحوادث جمة أنـــا عبيـــد الحـــى مـــن قحطـــان
حتـــى علتنـــى مـــن لبيـــد لطمـــة ســـجرت لهـــا مـــن حرهـــا العينـــان
أن ترضـــى تغلـــب وائـــل بفعـــالهم تكـــن الأذلـــة عنـــد كـــل رهـــان

فاهتاج كليب وقصد إلى لبيد، وحلله بسيفه فقامت الحرب بين اليمن وبين ربيعة ومضر وإياد وطئ وقضاعة، وتقدمهم كليب، وظفر

(١) أنظر كتاب بكر وتعلب ص ١٥ نقلاً عن:
أخبار المراقسة/ للسندوبى ص ١٩ ط الأولى. مط الاستقامة بالقاهرة سنة ١٩٣٩.

هؤلاء باليمن فى موقعة خزارى وتحرروا من سلطانهم، وهكذا أبت أنف الزوجة فى الجاهلية أى يسئ زوجها إلى أخيها فهجرته وألبت قومها بعد أن أهانها وأهان أهلها وكانت السبب فى حرب كان نتيجتها التحرر من سلطان اليمن والفخر بانتصاراتهم عليهم.

وكما كانت الزوجة تأبى أن تظل فى كنف زوج يسء إلى أهلها وذويها كان الزوج الجاهلى بفحولته يأنف من أن يشعر أن زوجته يسئ إلى أحد من أهله وذويه لأنه يعتبرها أهانه له فها هو "عمرو بن شأس"(١) يرى أن زوجته تسئ معاملة ابنه "عرارا" وتستخف به لأنه من أمة سوداء لأنه كان شديد الخلق. فلم تجعله شدة خلق ابنه يتغاضى عن استخفافها به وإساءتها إليه فإذا هو يغاضب زوجته ويهددها بالطلاق إن لم تحسن معاملة ابنه لأنه يحبه، ويعزه ويحميه قائلاً:(٢)

أرادت عرارا بالهوان ومن يرد عرارا لعمرى بالهوان فقد ظلم
فإن كُنت منى أو تريدين صحبتى فكونى له كالسمن ربت له الأدم

---

(١) وعمرو بن شأس بن أبى بلى شاعر مخضرم كثير الشعر مقدم، واعتق الإسلام فى صدر الدعوى، وكان كثير الشعر فى الجاهلية والإسلام وذا قدر ومنزلة فى قومه. أنظر طبقات فحول الشعراء/ لابن سلام تحقيق محمود محمد شاكر ط ١٩٩ مط المدنى القاهرة ١٩٧٤. معجم الشعراء/للمرزبانى تحقيق د/ عبد الستار فراج ص ٢٢ = ط عيسى البابى الحلبى القاهرة ١٩٦٠ أمالى القالى/ أبو على اسماعيل التالى ص ٢٢ ط دار الكتاب المصرية وشرح الحماسة/ للأعلام الشنتمرى المجلد الثانى ٦٩٠.

(٢) شرح الحماسة/ المجلد الثانى ص ٦٩٠: ص ٦٩٢ .. عرارا: ابنه وكان أسود. الهوان: المذلة، ريت: جعل فيها الرب وخلطت به الرب: رب التمر وكان العرب. إذا اتخذوا أناءا للسمن وضعوا وخلطوا فيه رب التمر ليطيب طعمه فضرب ذلك مثلاً لتأتيها لابنه موفقته له ولأدم: جمع أديم. ظعينة لرجل: امرأته، قوله ضاعت له الغنم: أى أهملها راعيها فافترسها الذئب، وعاث فيها، أى أن تسلطت عليه تسلط الذئب على الغنم طلقتك وتعدت منك تجشم خمسا: تكلفه فبعد عن أهله والأمم: القصد والقرب، الواضح: الأبيض والجون: الأسود ويكون أيضاً الأبيض فهو من الأضرار، والعمم: العميم التام الخلق، الطويل أى لا يضره سواده مع تمام خلقه وشدة أسره وقوته فالمنكب كناية عن القوة والشكيمة هنا: شدة الخلق أى أن ساءت لك خلقه ولم يواتيك فلا أملك ما جبل عليه فأرده عنه وإنما يصفه بالأنفة والعزة وخشونة الجانب والشدة، والشيم: الطبائع.

وإن كنت تهوين الفراق ظعينتى فكونى له كالذئب ضاعت له الغنم
وإلا فسيرى مثلما سار راكب تجشم خمساً ليس فى سيره أمم
وإن عرارا إن يكن غير واضح فإنى
وإن عرارا إن يكن ذا شكيمة أحب الجون ذا المنكب العمم
تقاسينها منه فلا أملك الشيم

وكما لا يرضى الزوج الجاهلى الإساءة إلى ابنه كذلك يثور ويغضب من زوجه إذا وجهت تلك الإساءة لأخيه ويصل به الأمر إلى أن يتجاوز المغاضبة إلى الفراق الذى لا رجعة فيه فها هو "دريد بن الصمة"(١) تراه امرأته أم معبد شديد الجزع على أخيه "عبد الله" فتعاتبه وتسئ إلى أخيه فتثور حميته وتأبى أنفته ألا يطلق الزوجة طلاقاً لا رجعة فيه قائلاً من الطويل:(٢)

أعبد الله أن سبتك عرسى تقدم لحمى قبل بعض
إذا عرس امرئ شتمت أخاه فليس فؤاد شانه بحمض
معاذ الله أن يشتمن رهطى وأن يملكن إبرامى ونقضى

رابعاً: ومن أسباب المغاضبات الزوجية بغض أحد الزوجين للآخر:

نتيجة لسوء خلقه وخلقه وعدم استطاعة الطرف الآخر تحمل ذلك. ومن تلك المغاضبات مغاضبة "عبد الله بن أوفى الخزاعى" لزوجه وهجاءه إياها بالعديد من الثالب الخلقية. والهجاء قائلاً:(٣)

(١) دريد بن الصمة: هو الشاعر الجاهلى والفارس المغوار وكنيته أبو قرة وعدة بن سلام أول الشعراء الفرسان وكان سيد بنى جشم وفارسهم وقائدهم وأدرك الإسلام.

(٢) شعراء النصرانية/ ٧٦٠ الفؤاد الحامض: الفاسد المتغير.

(٣) أنظر شرح الحماسة/ للأعلام الشنتمرى ص ١١٧٩.
الشهبيذق: بيذق الشاه من الشطرنج، شبهها به فى الغلظ والقصر "لم تجد"؟ : لم تنفع ولم تغنى/ المنجذة: المحنكة المجربة وهو ذم فى النساء ومدح فى الرجال يريد أنها جربت الأمور وذاقت الخير والشر فليست بغريرة ولا غافلة عن الأذى، الهجوع: النوع بالليل خاصة الأسل: الرماح، والمشرع: الممال للطعن أى هى جرينة لا

نكحـــت بشـــهبيذق نكحـــة على الكـرة ضـرت ولـم تنفـع
ولـــم تغـــن مـــن فاقـــة معـــدما ولـــم تجـــد خيـــراً ولـــم تجمـــع
منجـــذة مثـــل كلـــب الهراشـــى إذا هجـــع النـــاس لـــم تهجـــع
مفرقـــــة بـــــين جيرانهـــــا ومـــا تســـتطيع بيـــنهم تقطـــع
بقـــول: رأيـــت، لمـــا لـــم تـــرى وقيـــل: ســـمعت، ولـــم تســـمع
وأن تشـــرب الـــزق لا يروهـــا وأن تأكـــل الشـــاه لـــم تشـــبع
وليســـــت تاركـــــه محرمـــــاً ولـــو حـــفَّ بالإســـل المشـــرع
ولـــو صـــعدت فـــى ذرى شـــاهق يـــذل بـــه العصـــم لـــم تصـــرع

فنحن نرى الشاعر "عبد الله بن أ وفى الخزاعى" فى مغاضبته مع زوجه يسجل مساوئ خلقية وخلقية يحاول بتعديدها التنفيث عن غضبه الجم من زوجه، فشاعرنا يسم زوجته بجميع الصفات السلبية ويسلبها كل صفة من الصفات الجمالية المثلى التى يحرص الزوج على أن تتكامل فى زوجته بأسلوب ساخر موجع يجمع بين السخرية والتهكم.

فإذا هو يصورها ببيذق الشاه من الشطرنج فى غلظتها وشدة قصرها وبأنها زوجة تضر الزوج لدمامتها وعدم إنجابها هذا من الناحية الخلقية، أما من الناحية النفسية فهى زوجة ليست غريرة فقد حنكتها التجارب وجعلتها التجارب الفاشلة متحفزة وشرسة دائماً، فهلا يسلم منها حتى من هو الصق قرابة بها، فهى جريئة وقحة لا يهمها شئ، مندفعة لا يحد من اندفاعها شئ ويبدو كما أن عين المحب عين كل عيب كليلة أن عين الزوج الكاره المغاضب لا ترى إلا كل عيب ولا ترى أى خير خاصة إذا كانت هذه العين عين إنسان زائد الحساسية والانفعال وقد تكون تلك الصفات مبالغ فيها نتيجة إحساس الشاعر المبدع الذى يتميز بالحساسية

تتهيب شيئاً. الذروة: أعلى البجبل، والشاهق: ما طال من الجبال والعصم: والوعل، العصمة: بياض فى معاصمها.

الخاصة التى تجعله أكثر انفعالاً وها هى الشاعرة "أم الأسود الكلبية" فى إحدى المغاضبات الزوجية يصل غضبها إلى ذروته، ويبدو أنها قد ضاقت بزوجها ذرعاً فأخذت تحذر كل فتاه مقدمة على الزواج أن تتزوج رجلاً مثل زوجها الذى تراه مثال للمساوئ الخلقية والخلقية سواء من حيث ضعف الخلقة وضعف الهمة فإذا بها تلمح عن طريق غير مباشر بأنه رجل غير مشجع نفسياً أو جسدياً قائلة:(١)

سأنذر بعدى كل بيضاء حرة منعمة خود كريم نجادها
قصير قبال النعل يضحى وهمه قريب ويمسى حيث يعشيه نارها
إذا قال قد أشبعتنى بات راضيا له شملة بيضاء خالف حمارها
يرى الطيب عارا أن يمس ثيابه أو المسك يوما أن علاه صوارها

وقد يصل الحال بين الزوجين إذا كانا الزوجين لديهما القدرة على قول الشعر إلى الملاحاة وتبادل الهجاء فلنستمع على تلك المشاجرة الشعرية والملاحاة الزوجية بين الشاعر أبو هلال بن مالك بن قتادة بن حسان بن النعمان وبين زوجه وابنة عمه التى يقول فيها:(٢)

يا رب شمطاء المفارق حربش صماء ليس لقلبها أذنان
تلك التى لو أننى خيرتها أو حية همازة الأسنان
لاخترتها بدلاً بها وعزلتها وصدرت ذا جذل مع الرعيان

فترد عليه زوجه ملاحية له بقولها:(٣)

يا رب شيخ قد تولى خيره ذرب اللسان كأنه ظربان
يرجو الشباب وقد تحنى ظهره وعفاه بعد منامه الذبان
ذاك الذى لو أننى خيرته لم ارتضيه بكلبنا ذكوان

(١) بلاغات النساء/ ص ١٠٠.
(٢) المرجع السابق/ ١٠٢.
(٣) المرجع السابق/ ١٠٢.

فيالها من ملاحاة ساخرة وفكهة تثير الضحك والنفور.

خامساً: من أسباب المغاضبات الزوجية التى نرى صداها جلياً فى الشعر الجاهلى شغوب الزوجة وكثرة افتعالها للأزمات وكثرة لومها لزوجها بذنب أو بدون ذنب

مما يقطع حبل المودة والرحمة بينهما ويبدو أن هذا طبع بعض النساء حتى فى عصرنا الحاضر فمازلنا نرى الزوجة التى تحب دائماً أن تشغب على زوجها يوجد ما تضيق به ذرعاً ولا تستطيع أن تعبر عنه بصراحة مما يجعلها تحت ضغط نفسى يلجأ بها إلى التنفيث من خلال هذا الشعور المستمر. كما أن ضعف التكوين النفسى للمرأة قد يساعد على ظهور هذا الضيق والتبرم لأنها أسرع إثارة من الرجل فهذا "عامر بن الطفيل" يصور شغب زوجته ولومها له على غير ذنب باستمرار فإذا هى كلما رد عليها دعوة أتته بأخرى مبيناً ضيقه ورفضه لهذا السلوك قائلاً:(١)

وقد أصبحت عرسى الغداة تلومنى على غير ذنب هجرها وصدودها
فإنى إذا ما قلت: قولى، فانقضى أتتنى بأخرى، خطة لا أريدها
فلا خير فى ودّ إذا رث حبله وخير حبال الواصلين جديد

ويبدو أن الزوج الجاهلى بل الزوج عبر كل العصور كان يعانى من مشاغبة الزوجة فهذا هو "أعشى بن مازن" يعلن شغب زوجته شاكياً منها إلى ملك من ملوك العرب مبيناً له أنه على الرغم من خروجه ليبتغى لها من خيرات الأرض إلا أنها قد نازعته هاربة إلى قومها ناكثة بعهدها.

(١) ديوان عامر بن طفيل/ تحقيق ليال القصيدة رقم (٦) ط كمبردج ١٩١٩.

فهذه هى تجربته الخاصة مع تلك الزوجة المشاكسة، وشدة مرارتها النفسية، وتأمله لها تجعله يصدر حكماً عاماً على النساء بأنهن شر غالب على الرجال - متناسياً من خلال تجربته الخاصة أن العديد من الزوجات كن خير غالب على أزواجهن - حيث يقول متألماً:(١)

يا سيد الناس وديَّان العرب إليك أشكو ذربة من الدِّرب
خرجتْ أبغيها الطعام فى رجب فخلفتنى بنزاع وهرب
أخلفت العهد ولطَّت بالذيب وهن شر غالب لمن غلب

وقد يحدو هذا الشغب من الزوجة لا إلى شكوى زوجها منها فقط بل إلى فركها ومقابلة شغبها بشغب أقسى منه، وتهديده لها بمبالغته فى الشغب ضدها. ويبدو أن هذا كان رأى الشاعر "عمرو بن قمينة" عندما ارتحلت عنه زوجته إلى، أهله مغاضبة له، فإذا هو يعلن رضاه التام بفرقتها ورحيلها، داعياً عليها بالهلاك، مبيناً أنه قد قابل شغبها بشغب أقوى منه بعدما جرب معها اللين والدماثة ولم يجديا معها شيئاً وإذ يقول موجهاً حديثه إلى زوجته(٢).

بينى على نجم شخيس نحوسه وأشأم طير الزاجرين سنيحها
فإن تشغبى فالشغب منى سجية إذا شميتى لم يؤت منها سجيحها

(١) معجم الشعراء: للمرزبانى ص ١٥ نشر الدكتور سالم الكرنكوى مكتبة المقدسى بالقاهرة، ١٣٥٤هـ.
الذربة: السليطة اللسان. لطت بالذيب: أصرت على الجد فى رحلتها وفرقتها

(٢) ديوان عمرو بن قمينة/ ص١٤، شخيص نحوسه: متعدد شؤمه/ سجيح: لين سهل.

سادساً: من أسباب المغاضبات الزوجية فرار الزوج من القتال:

إن عشق المرأة الجاهلية للفروسية فى هذا المجتمع الجاهلى الذى يحفل بالقوة التى هى عماد الحياة الجاهلية، جعلها رافضة لأن يوسم زوجها بالفرار فإذا هى مغاضبة له معلنة رفضها لهذا السلوك ومبينة نقص أسهمه لديها. ويبدو أن الشاعر الجاهلى كان يحاول جاهداً أن يجد لنفسه المبررات التى تجعله غير مقصر فى نظر زوجه كما تجعله غير محبط نفسياً وإن كان يعانى ألم الانكسار والهزيمة والفرار ومن ذلك محاولة "أوس بن حجر" تبرير فراره عن قتال "بنى عبس" بأن فراره لم يكن عن جبن لأن شجاعته معلومة من قبل وإنما كان فراره لخوفه من القتل خاصة وأن فى أعدائه "رهط أبى سهم" و"عمرو بن عامر" و"بكر" وهم قوى ذوى دهاء.

ويبدو أن توبيخ زوجه له جعله يقع فى حالة من التوتر النفسى وعدم الإدراك فإذا هو يأتى بمبرر وبعذر هو أقبح من الذنب إذ يقول من الطويل معتذرا إلى زوجته المغاضبة والمعيرة له.(١)

اجعلـــه أم الحصـــين خزايـــة ... علـىّ فـرارى أن رأيـت بنـى عـبس
ورهـط أبـى سـهم وعمـرو بـن عـامر ... وبكـرا فجاشـت مـن لقـائهم نفسـى
كان جلود النمر جيبت عليهم فضموا ... إذا جعجعـوا بـين الأناخـة والحـبس
علنيـــا حجرتينـــا بصـــادق ... مـن الـراى حـش النـار فـى الحطـب
فأبـت سـليمى لـم يخـرق عمـامتى ... اليـــــــــــــــــــــبس
ولـيس يعـاب المـرء مـن جـبن يومـه ... ولا صفحتى وضع القواب فى الترس
إذا عُرفـت منـه الشـجاعة بـالأمس

(١) الأشباه والنظائر/ ٣٠٢/٢ ط دار الكتب المصرية القاهرة.

ويبدو أن الشاعر حاول أن يهرب مما عيرته به زوجه من خلال محاولة دمغه لها بأنها بلومها هذا وتوبيخه على فراره كانت تبغى له القتل كمحاولة من محاولات الإسقاط النفسى التى يقوم به من يشعر بالتقصير.

ويبدو أن الفرار من ميدان القتال كان عاراً يحاول الفارس التنصل منه مع أنه قد يكون بفراره هذه قد أحسن التصرف، ولكن الزوجة التى يملؤها نفسياً أن تشعر بشجاعة زوجها قد لا تقدر أن هذا الفرار ليس جنباً ولكن سياسة وحصافة من الزوج الذى وجد نفسه يقاتل فى شجاعة وبسالة وحيداً فى الميدان بعد أن أثخن الجراح فى أعدائه وهذا هو حال "عاتكة" فى لومها لزوجها "الحارث بن هلال" الذى حاول الاعتذار قائلاً من الطويل:(١)

أعاذل إنى لم ألم فى قتالهم قد عض سيفى كبشهم صممًا
أعاذل كم من يوم حرب شهدته أكُرُ إذا ما فارسُ القوم أحجما
أعاذل ما وليت حتى تبددت رجالى وحتى لم أجِدْ متقدَّماً
وحتى رأيتُ الوَرْدَ يُدْمِى لبانَهُ وقد كعت الأبطال فانتعل الدّما
أعاذل أفنانى السلاحُ ومن يُطِلْ مقارعة الأبطال يرجع مكلَّما

وإذا كان هذاا لزوج قد اعتذر بفرار لأنه وجد نفسه وحيداً فى ميدان لمعركة فإن شاعراً جاهلياً آخر يعتذر لزوجته "أمامة" عن أن فراره لم يكن خوفاً من القتل بل من الأسر فيقول من الطويل مصوراً ما دار بينه وبينها من حوار:(٢)

قالت أمامة لم تكن لك عادة أن تترك الأصحاب حتى تُعِذرا

(١) الأشباه والنظائر/ ج١ ص ١٥٢ ط دار الكتب المصرية بالقاهرة.
(٢) الأشباه والنظائر/ ج٢ ص ٣٠٣.

فلـو كـان قتـل يـا أمـام فراحـة لكـن فـررت مخافـة أن أوسـرا

وقد يرُد الشاعر على مغاضبة زوجه له على فراره بأن هذا الفرار ليس جبناً وإنما هو أسلوب من أساليب القتال المجدية فى ميدان القتال ألا وهو أسلوب الكر والفر فإذا هو يجعل من هذا العيب الذى يعاب به مجالاً للفخر بهذا الفرار فهذا هو الشاعر الجاهلى "أبو خراش" المشهور بكرِّه وفره وأول من افتخر بالفرار يرد على زوجه اللائمة له على فراره بافتخاره بهذا الفرار الذى سوف يجعله قادراً على إظهار بسالته فى كراته التالية قائلاً من الطويل:(١)

فـإن تزعمـى أنـى جبنـت فـإننى أفـرُّ وأرمـى مـرة كـل ذلـكِ
أقاتـل حتـى لا أرى لـى مقـاتلاً وأنجو إذا ما خفت بعض المهالكِ

وهكذا نرى كيف كانت المغاضبات الزوجية سبباً ودافعاً قوياً لظهور شجاعة الخصم كمحاولة من محاولات التبرير للفرار.

وبذلك تكون المغاضبات الزوجية بسبب الفرار من أهم الأسباب التى أدت إلى ظهور العديد من القصائد المنصفات التى يذكر فيها الخصم شجاعة أعدائه وبلائهم فى ميادين القتال.

سابعاً: وقد يكون من أسباب المغاضبات الزوجية كثرة ترحال الزوج

وخوف الزوجة الشديد على حياته وإصرار الزوج على الخروج والإغارة لأنه يرى أن هذا الخروج ضرورى للأمن المادى والنفسى لأهله وذويه فإذا بحرص كل واحد منهما على الأخر يجعل كل منهما يوجه

(١) الأشباه والنظائر/ ج١/ ١٧٧.

اللوم لصاحبه بل قد يضيق طرف منهما بإصرار صاحبه وكثرة لومه وإن كان يعلم أن الدافع هو الحرص والحب.

ومن ذلك تصوير "عروة بن الورد" للوم زوجته على كثرة ترحاله وغاراته، وتعريضه نفسه للهلاك، ومحاولاتها الدؤوب أن تثنيه عن ركوب المخاطر خاصة وأن أعداءه كثيرون ومحاولته إقناعها أن الهلاك ممكن أن يصيبه وهو مقيم، وأن رحيله الهدف منه طلب الغنى الموجب للإقامة لديها قائلاً من الطويل:(١)

أرى أم حسان الغداة تلومنى تخوفنى الأعداء، والنفس أخوفُ
لعل الذى خوفتنا من أمَامَنا يصادفه فى أهله المتخوفُ
لهَ خَلَّه لا يدخل الحق دونها أبو صبية يشكوا المفاقر أعجفُ
تقول سليمى لو أقمت بأرضنا ولم تدْر أنّى للمقام أطوَّفُ

ويبدو أن زوجة "عروة" كانت تلومه دائماً على كثرة غزواته وكان دائماً يصر على عدم الالتفات إلى كلامها لأنه مقتنع أن رحيله وغزواته من أجل أن يرفع عنها وعن من يعول الفقر والحاجة، ويؤدى ما عليه من حقوق تجاه أهله وعشيرته.

وهى تصر على إقامته معها. يظهر هذا من خلال ما دار بينهما من حديث ومشادة كلامية انتهت بتوجيه الخطاب إليها قائلاً:(٢)

---

(١) شرح الحماسة/ للشنتمرى ٩٤٧/٢، وشعراء النصرانية فى الجاهلية ص ٨٩٧. المفاقر: بمعنى الفقر، والأعجف: المهزول الخلة: الحاجة والفقر وقوله: لا يدخل الحق دونها: أى الحق يدعو إلى سد تلك الخلة ولا يمنع منها وتجرف: تذهب بالمال أنى للمقام أطوف: أى أن طوفوا فى البلاد طالباً للغنى الموجب للإقامة عندها فلم تأمرنى بما أجرى إليه وأرغب فيه.

(٢) شرح الحماسة/ للشتمرى ج٢، ص ٨٨٤، أخليك: أى اقتل عنك فأفارقك فتخلى للأزواج. أغنيك عن سوء محضر: أى أغنيك من أن تحضرى محضراً سيئاً يعنى المسألة. قوله فإن فاز سهمى مثل للظفر وفاز سهم المنية: أى قتلت، ومنظر المسألة الذى يسئ لكم ضبوا (الضبوء) اللصوق بالأرض ويقال= = ضبأ

ذرينـى أطـوف فـى الـبلاد لعلنـى أخليك أو أغنيك عن سوء محضرى
فـإن فـاز سـهم للمنيـة لـم أكـن جزوعـاً وهـل مـن ذاك مـن متـأخر؟
وإن فـاز سـهمى كفكـم عـن مقاعـد لكـم خلـف أدبـار البيـوت ومنظـر
تقـول لـك الـويلات هـل أنـت تـارك ضـــبوا برَجْـــل تـــارة وبمنســـر
ومسـتثبتٌ فـى مالـك اللعـام أننـى أراك علـــى صـــرماء مـــذكر
فجـــوع لأهـــل الصـــالحين مزَّلـــة مخـوف رَدَاهـا أن تصـيبك فاحـذر
أبـى الخفـضُ مـن يغشـاك مـن ذى ومـن كـل سـوداء المعاصـم تعتـرى
قرابـــــــــــــــــــة لـه مـدفعاً فـاقتى حيـاءك واصـبرى
ومســـتهنئ زيـــد أبـــوه فـــلا أرى

ويبدو أن زوجة عروة قد نوعت من أساليب رفضها لرحيل "عروة" ولجأت إلى سلاح المرأة الأخير حين شعرت بعجزها عن إثنائه عن قراره بالرحيل ألا وهو "البكاء" والتوسل إليه بنظراتها الآسرة ويبدو أنها نجحت فى التأثير فيه لكنها لم تنجح فى رده عن رحيله وغزواته المتتالية يظهر ذلك من قوله فى قصيدة أخرى من الطويل:(١)

يضبأ ضبوءاً إذا استتر ليختل الصيد والرجل: الرجالة يريد أنه يضبأ بالنهار ليختفى ويسرى بالليل وبمنسر: أى يغزو على الخيل فى جماعة كبيرة ما بين الثلاثين والأربعين لأن المنسر هو ما بين الثلاثين والأربعين اتقاد صرماء مذكر: أى على شفا هلكه أى خطر عظيم وهذا مثل أقتاد: جانبى صرماء: الناقة التى صرمت أطباؤها رأى قطعت لينقطع لبنها فتشتد قوتها ويشتد لحمها، المذكر: التى تلد الذكور وهو أفظع ما يكون منت نتاج العرب وابغضه إليهم وهذا كله تشديد للداهية فجوع: يعنى الصرماء (الداهية) أى تفجع الصالحين: عند العرب ذوى المعروف لا ذوى الدين ومنزلة: أى تنزل بأهلها، مخوف رداها: أى يخاف الهلاك من قبلها أبى الخفض من يغشاك من ذى قرابة: أبى هذا الذى تريدين من خفض العيش والدعة من يتركك من ذى قرابة يأتوننى فيسألونى وأبى أيضاً من يعترك من الفقراء – وسود المعاصم كناية عن شدة تعبها وإجهادها من الجدب والجهد والهزال ومستهنئ زيد أبوه: والمستهنئ: هو المستعطى أحسن العطاء زيد ابه: يعنى رجلاً من قومه يجمعه وأياه زيد وهو جد عروة. يقول يأبى هذا أن أستطيع أن أصل هذا الذى تجمعنى به تلك الصلة القوية ولا أقدر علب رده لقرابته وصلته القوية بى. فاقنى حياء: أى احفظيه وامسكيه عليك.

(١) شعراء النصرانية/ ٩١٣.

تقول: ألا أقصر من الغزو واشتكى لها القول طرفٌ أحور العين دامعُ
سأغنيكِ عن رجع الملام بمزمع من الأمر لا يعشو عليه المطاوعُ
لبوسٌ ثياب الموت حتى إلى الذى يؤانم إما سانمُ أو مصارعُ

وكذلك تغاضب زوجة "عمرو بن براقة الهمذانى"[1]، زوجها وتعاتبه وتلومه على تعريضه نفسه للهلاك بعدم قبوله للصلح مع "حريم بن مالك" الذى أغار على بعض إبل "عمرو" فرد عليه "عمرو" بسلب كل ماله وخيله وإبله رافضاً أن يرد له بعض هذا المال ولا أن يستجيب لعتاب زوجته ولومها إياه قائلاً من الطويل:[2]

تقول سُليمى لا تعرض لتلفةٍ وليلكُ عن نوم الصعاليك نانمُ
وكيف ينام الليل من جُلَّ ماله حسام كلون الملح أبيض صارمُ
غموس إذا عض الكريهة لم يَدَعْ لها طعما طوع اليمين ملازمُ
ألم تعلمى أن الصعاليك نومهم قليلُ إذا نام الخلى ملازمُ

ثامناً: ومن أسباب المغاضبات الزوجية:

إحساس الزوجة أو علمها بزواجه من أخرى تكون لها ضرة وإحساسها بتفضيلها عليها، واستأثرها به مما يجرح كرامتها ويسبب لها ألماً نفسياً عميقاً وليس هذا شئ جديد فالغيرة والاستحواذ من سمات المرأة

(١) عمر بن براقة: هو ابن منبه بن شهر بن فهم، شاعر جاهلى إسلامى مشهور بالشجاعة والفتك – انظر الاشتقاق/ ص ٤٣٣. الأغانى ١٧٥/٢١، شرح الحماسة جـ ١ ص ٣٥٠ المؤتلف والمختلف/ للأمدى تحقيق عبد الستار أحمد فراج ط عيسى البابى الحلبى القاهرة ١٩٦١م سمط الآلئ/ عبد العزيز البكرى ص تحقيق د. عبد العزيز الميمنى الراجوتى ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٣٦.

(٢) شرح الحماسة للشمنترى – المجلد الأول ص ٣٥٠ – التلفة: الهلكة والصعالك الفقراء، أى لست صعلوقاً فتتعرض للهلاك بالغزو وسلب المال. نائم: مستغن عن السرى وجعل الفعل ليس مجازاً. ثم قال: (وكيف ينام من جل ماله حسام): يرد عليها ما أدعت أى لا مالى لى إلا السلاح فكيف أنام عن الطلب وقوله (كلون الملح) أى أبيض صقيل، والحسام لك القاطع الصارم. الغموس: الماضى فى الضريبة والمنغم فيها. الكريهة: الشدة ويعله طوع اليمين: أى هو متآت للضرب ملازم للكف يريد أدمانه على إمساكه والضرب به. والخلى الخالى من الهموم أى أنال قليل من المال كثير الأعداء فكيف يسوغ لى النوم.

النفسية وأن اختلفت النسب بين النساء ولهذا لجأ الزوج فى مغاضبته إلى تهديد زوجته بالضرة قائلاً من الطويل:(١)

دمشق خذيها واعلمى أن ليلة تمرُّ بعودى نعشها ليلة القدر
أكلت دماً إن لم أرعك بضرة بعيدة مهدى القرط طيبة النشر

وهذه زوجة الشاعر "الطهوى" تلومه وتغاضبه لزواجه عليها وتثور ثائرتها عليه فإذا هو يزيد من ثورتها ذاكراً لها أن زواجه من هذه الضرة ليس الغرض منه إلا عقابها وتأديبها على تمردها وتكبرها إذ يقول:(٢)

لقد خشيت أن يقوم قابرى ولم تمارسك من الضرائر
ذات شذاةٍ جمة الصِراصر حتى إذا جرَّس كل طائر
قامت تعنظى بك سمع الحاضر تصر إصرار العقاب الكاسر

وقد أبدع الشاعر فى استخدامه وتكراره لحروف الصفير "السين" و"الصاد" وانتشارها بشكل كثيف مزعج جعله يشعرنا بمدى إزعاج هذه الضرة وتأثيرها النفسى.

ويبدو أن التهديد بالضرة يلمس وترا حساساً لدى المرأة وأن الرجل الجاهلى قد استطاع أن يضغط على هذا الوتر الحساس ليؤلمها نفسياً مهما حاولت الظهور بمظهر غير المبالية وخداعه بعدم اهتمامها بهذا الأمر. ولقد بلغ الشاعر القمة فى دقة التصوير لنفسية المرأة وخوالجها

(١) شرح حماسة أبى تمام/ للشنتمرى المجلد الأول ١١٧١.

(٢) طهارة (العرب/ ص ٣٢ نقلاً عن المرأة فى الشعر الجاهلى/ د. أحمد محمد الحوفى ص ٢٣٩ ط ١ لثانية دار الفكر العربى.

ذات شذاة: ذات خصومة واحدة، الصراصر: جمع صرصرة وهى الصوت الشديد والمراد صخابة جهارة بالسوء من القول، جرس: صوت والمراك الصياح الباكر، تذكرك بالفحش لتسمع الحى: نصر: تتصلب أذنها للاستماع.

النفسية وتصرفها فى مثل هذه الحالة منهما حاولت التظاهر بعكس ما تشعر به من ألم قاتل. مظهراً مدى غيظها الذى ينعكس فى صورة آلام جسدية تخرق القلب والعظم وتشعل القلب إذ يقول من الخفيف:(١)

خبروَّهـــا بـــأننى قـــد تزوجـــ ـــت فظلَّـت تكـاتم الغـيظ سِـراً
ثـــم قالـــت لأختهـــا ولأخـــرى جلـــدا: ليتـــه تـــزوج عشَـــرا
وأشـــارت إلـــى نســـاء لـــديها أتـــرى دونهـــن للســـر سِـــترا
مـــا لقلبـــى كأنـــه لـــيس منـــى وعظـــامى أخـــال مـــنهن فتـــرا
مـــن حـــديث نمـــى إلـــىَّ فظيـــع خِلتُ فى القلب من تلظية جمرا

المغاضبات غير المسببة:

وكما ذكر الشاعر الجاهلى العديد من أسباب المغاضبات الزوجية وبينها بوضوح وصراحة تامة ولم يخجل من ذكرها وأن كانت تمسه فإنه قد أغفل ذكر هذه الأسباب فى بعض الأحيان مكتفى بإظهار الغضبة والشجار الدائر بينهما والكره والفرك. فنحن نرى "أعش قيس" "يتزوج امرأة من عنزة فينفر منها غير مظهر لأسباب ذلك القلى الذى دفعه لبينها وطلاقها مكتفياً بتسجيل مقته لها مخاطباً إياها بقوله من الطويل:(٢)

فيبنى فإن البين خيرُ من العصا وألا ترى لى فوق رأسك بارقة
وما ذاك عندى أن تكونى دنيئة ولا أن تكونى جئت عندى ببائقة
ويا جارتا بينى فإنك طالقة كذاك أمور الناس غادٍ وطارقة

(١) شرح حماسة أبى تمام/ للشنتمرى /٢/١١٥٠.
(٢) شعراء النصرانية/ ٣٦٣.

وهذا هو الشاعر الجاهلى يذكر غضبة زوجته "سمية" منه ورحيلها عنه ولكنه لا يذكر سبباً لهذه المغاضبة التى غالباً ما سبقها العديد من المغاضبات قائلاً من الكامل[1]:

رحلت سمية غدوة إجمالها	غضبى عليك فما تقول
هذا النهار بدا لها من همها	ما بالها بالليل زال زوالها
سفها وما تدرى سمية ويحها	أن رُبَّ غائية صرمتَ حبالها
ومصاب غادية كأن تجارها	نشرت عليه بوردها ورحالها
ومثلك معجب بالشباب	صاك العبير بأجسادها

ويبدو أن زوجته فارقته لسبب يخجل شاعرنا من ذكره، أو أن يوسم به نتيجة لتقصير ما حاول أن يغطيه الشاعر بهذا الفخر الممتد الذى أنهاه بقوله مخاطباً لها "ومثلك معجبة" بالشباب ولعل هذه الكلمة الصادرة منه فى آخر قصيدته هى بيت القصيد أو بيت الداء كما يقولون.

الخصائص الفنية فى المغاضبات الزوجية فى الشعر الجاهلى

ومن خلال تتبعنا لشعر المغاضبات الزوجية ومن دراستنا ليعض نماذجه فى الشعر الجاهلى يمكننا القول بأن المغاضبات الزوجية فى الشعر الجاهلى قد تميزت بالعديد من الخصائص الفنية الخاصة بالشكل والمضمون وأهمها:

أولاً: الواقعية:

(١) المرجع السابق/٣٧٠: ٣٧٣ هذه الأبيات من قصيدة طويلة يفخر بها بمغامراته العاطفية وصيده وشبه الخمر.

فطبيعة موضوع المغاضبات الزوجية يرتبط بالواقع الحياتى للشاعر الجاهلى وبطبيعة بيئته التى فرضت عليه التزامات وحقوق ومثل يحتفى بها وتحتفى بها الزوجة الجاهلية وبطبيعة العرف الجارى فهو يصور واقع يعيشه وينفعل به ويؤثر فيه ويتأثر به واقع يمس أخص خصوصياته وهى علاقته بزوجه فى أحرج المواقف الإنسانية يصوره تصويراً دقيقاً فالشاعر الجاهلى يأخذ مادته الشعرية من واقع تجاربه الشخصية التى عانها وعبر عنها وإن اتحدت المواقف وتشابهت ولا يستمدها من الخيال أو التفكير ولذا كانت أبرز صفات المغاضبات الزواجية الواقعية التى كانت تقوم على التجارب الحياتية الخاصة وعلى التعبير عنها بدقة.

ثانياً: تميزها بقدر هائل من الصدق وقوه العاطفة وعمق التجربة الشعرية.

لأن هذا الشعر كان نتيجة لحظة انفعالية وشعورية عانها الشاعر بشدة فحركت مشاعره وهزت كيانه وتألم فيها وعبر عنها، وما أشد تأثير التجارب الخاصة إذا ارتبطت بكيان الإنسان وبأخص ما يسمه ألا وهو الزوج والسكن.

ولعل صدق العاطفة وعمق التجربة الشعرية وصدقها الغنى المصاحب للواقعية الشديدة نشعر به فى كل قصيدة ومقطوعة أو مجموعة أبيات من شعر المغاضبات.

فلنستمع للشاعر "النمر بن تولب" الذى من شدة انفعاله وغضبه من قسوة لوم زوجته وضيقه الجم من مغاضبتها له فلا يستطيع نفسياً أن يعيد أو يذكر ملاماتها له. فإذا هو يحذف قولها بعد أن يقول "قالت

لتعذلنى من الليل" مهتما بالتعبير الدقيق عن شدة انفعاله وتوجيه رسالة قاسية لهذه الزوجة المتباكية الجزعة من خلال استخدام فعل الأمر (اسمع)، ومسفها تصرفها الأحمق تجاه إكرامه لضيوفه بقوله سفه بعد فعل الأمر (اسمع) مباشرة، مما يوضح كثافة الشحنة الانفعالية التى عاناها الشاعر فى قوله:(١)

فالت لتعذلنى من الليل: اسمعِ سفه تبيتك الملامة فاهجعى
لا تجزعى لغدٍ وأمر غدٍ له أتجعلين السرَّ ما لم تمنعى
قامت تُبكىِّ أن سبأت لفتيةٍ رقا وخابيةٍ بعودٍ مقطع
لا تَجزَعى إن منفسٌ أهلكته وإذا هلكت فعند ذلك فاجزع

كما يبدو هذا الصدق الفنى فى انفعال الشاعر الجاهلى الحاد من تذمر زوجته بسبب إنكاره عليها عدم طاعتها له وثورته عليها موبخاً لها بأسلوب ساخر ممض مؤلم يتعمد فيه على قلبه للصورة والأوضاع السائدة بين الزوج وزوجه قائلاً:

إذا ما جنت ما أنهاك عنه ولم أنكر عليك فطلقينى
فأنت البعل يومئذ فقومى بسوطك لا أبالك فاضربينى

ولعل فى قوله "لا أبالك" ودعائه عليها ما يظهر عمق الشحنة الانفعالية لديه.

ثالثاً: كما تتميز المغاضبات الشعرية بالانفعال الفريد الأصيل

على الرغم من اتحاد المواقف وتشابه الأفكار والمشاعر إلا أن كل تجربة من تلك التجارب الشعرية التى تصورها المغاضبات الزوجية لها خصوصيتها المنفردة فيما تثيره من درجة الانفعال وطريقة التعبير وما

(١) الخزانة للبغدادى/ ج١ ص ٣٢١.

تحمله من شحنات فكرية وعاطفية بحسب الموقف والاستعداد النفسى والفكرى والشعورى للمبدع لأن المبدع الواحد قد يختلف انفعاله فى تلك المغاضبات فإذا بكل نص شعرى إبداع فنى خاص. ولعلنا قد شعرنا بهذا من خلال استعراضنا لشعر المغاضبات الزوجية.

فهذا "حاتم الطائى" الذى يضرب به المثل فى الكرم عبر العصور يقابل غضب زوجته ماوية ولومها له على كثرة إتلافه وبذله للمال بمحاولة دؤوب لاسترضائها من خلال تودده إليها وإشعارها بمدى حبه لها مبيناً أن سلوكه هذا له دوافعه القوية التى لا تقلل من إعزازه لها وإن خالفها فى الرأى من خلال النداء وتكراره لأسمها فى أغلب أبيات القصيدة، واستخدامه "الهمزة" التى تدل على مدى قربها من قلبه ومشاعره ومحاولته الدؤوب بإقناعها بمسلكه الحياتى على الرغم من موقفها السلبى المغاضب المتبرم قائلاً:

أما وى قد طال التجنب والهجر وقد عذرتنى من طلابكم العذر
أما وى أن المال غاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكر
أما وى ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت نفس، وضاق بها الصدر

بينما نجد الشاعر نفسه يتخذ موقفاً آخر تجاه مغاضبة زوجته الثانية "نوار" مع إنها توجه له نفس اللوم فإذا بنا نشعر به أكثر حدة وغضباً فى رده عليها، ولا نشعر بمثل هذه الدماثة ولا بمحاولات الاسترضاء السابقة بل نشعر بضيقه وتبرمه من تصرفها من خلال توجيه الكلام إليها بلفظ "عاذلة" الذى كرره أكثر من مرة وعدم استخدامه لأسمها نهائياً بل استخدامه المتكرر لفعل الأمر "ذرينى" الذى يشعر بشدة ضجره وغضبه منها. ومن خلال تهديده لها بالطلاق "لا ألوك إلا حليقتى" ووسمه لها بسلاطة اللسان قائلا: "فلا تجعلى فوق لسانك مبردا قائلاً:

وعاذلــة هبــت بليــل تلــومنى وقــد غــاب عيــوق الثريــا فعــردا
ذرينــى وحــالى أن مالــك وافــر وكــل امــرئ جــار علــى مــا تعــودا
أعــاذل لا ألــوك إلا حليقتــى فــلا تجعلــى فــوق لســانك مبــردا
ذرينــى يكــن مــالى لعــرض جنــة يُبقى المال عرضى قبل أن ينبددا

وهذا هو الشاعر الجاهلى والفارس المغوار "الجميح الأسدى" تجتاحه أحاسيس ومشاعر متضاربة من جراء مغاضبة ونشوز زوجته الحبيبة إلى قلبه بعد أن كبر سنه وساءت حالته، وانحدر عنه غناه ومجده فإذا هو ينازعه شعور الغضب والسخط على هذه الزوجة المتمردة والجارحة لكرامته وإحساسه بحبه الدفين لها فإذا بقصيدته تعبر عن تصارع هذين الشعورين ظهور الأول منها الغضب والسخط والسخرية منها ومن سوء تصرفها فى بداية قصيدته التى يفتتحها بقوله:(١)

أمســت أمامــه صــمتاً مــا تكلمنــا مجنونــة؟ أم أحســت أهــل خــروب
مــرت براكــب منهــور، فعقــال لهــا: ضــرى الجميــع ومســية بتعــذيب
يأبى الذكاء ويأبى أن شيخكم ما إذا لــن يعطى الآن عــن ضــرب وتأديــب
حــــردت حــــردى فمجريــــة جــرداء تمنــع غــيلا غيــر مقــروب
وأن يكــن حــادث يخشــى فــذو علــق تظــل تزجــره مــن خشــية الــذيب
فــإن يكــن أهلهــا حلــو علــى قضــة فــإن أهلــى الأولــى حلــوا بملحــوب

إلا أن سرعان ما يغلبه ويتغلب عليه حبه الشديد الذى انتصر فى نهاية القصيدة، وظهر من خلال محاولته التماس العذر لتذمرها أو تأميلها بتحسن أحواله المعيشية قائلاً:

فــإن تقــرى بنــا عينــا وتختفضــى فينــا وتنتظــرى كــرى وتغريبــى

(١) انظر المفضليات/ القصيدة ٤
الشعر الجاهلى/ د. محمد النويهى ٨٧٦، نصوص من الأدب الجاهلى/ د. أحمد عبد الغفار عبيد، ط ٢٠٠١

فـاقنى: لعلـك أن تحظـى وتحتلبـى فى سجل من مسوك الضأن منجوب

وهكذا نشعر فى كل قصيدة أو مقطوعة من شعر المغاضبات بقدرة المبدع على صهر مكونات تجربته الشعرية، وتخليقها على نحو فريد من خلال كيانه وذاته وما يشعر به من مشاعر وأحاسيس.

رابعاً: تميز شعر المغاضبات الزوجية بالسيرة والبقاء والخلود

لارتباطه بتصوير زاوية من زاويا العلاقات الإنسانية ألا وهى العلاقة الزوجية المستمرة عبر كل العصور البشرية.

خاصة وأن تلك المغاضبات الزوجية تمثل مشاعر ونوازع إنسانية بين الرجل والمرأة مرتبطة بالإنسان فى كل زمان ومكان؟ وبتغيرات وأسباب تعترى كل إنسان فالثراء. والإعدام والشباب والشيب والكرم والبخل والحرص على ذوى القربة والاهتمام بالشجاعة والنفور من الجبنوالخوف على الزوج والحرص عليه والغيرة والإحساس بالجمال والقبح والكره والحب كلها نوازع إنسانية باقية وخالدة.

ولذا لا نملك حين نقرأ هذه المغضبات الزوجية إلا أن نشعر بأن النفس الإنسانية ونوازعها النفسية والشعرية لم تتغير عبر أكثر من خمسة عشر قرناً. وأن نتعجب من أن أسباب المغاضبات الزوجية فى جوهرها مازالت كما هى منذ هذا الوقت وحتى وقتنا هذا وأن اختلفت المظاهر والقشور فأصبح المال لا يقاس بالإبل واهتمام الرجل لا ينصرف إلى فرسه بل إلى سيارته وهكذا.

بل نتعجب أكثر من دقة تصويره لسلوك النساء فى مغاضبتهن لأزواجهن وأساليبهن المختلفة التى ما زالت كما هى حتى عصرنا الحاضر والتى تتمثل فى الصمت الرهيب الذى يصوره الجميع بقوله

"أمست أمامه صمتاً ما تكلمنا"(١)، وقول الخليفة بن جمل "ما بال أم حبيش لا تكلمنا"(٢).

وعدم النظر إلى الزوج والعبوس الدائم والشزر الدائم منه الذى يصوره الشاعر الجاهلى بقوله:

تقطع الطرف دونى وهى عابسة كما تشأوس فيل الثائر الحنق

وفى الصد بوجهها والإعراض به الذى يصوره "علياء بن أرقم بن عوف" الشاعر الجاهلى بقوله:(٣)

ألا تلكما عرسى تصد بوجهها وتزعم فى جاراتها أنى من ظلم

وكذلك يصور محاولتها إسقاط أخطائها على غيرها وزعمها أنها المظلومة دائماً والتنصل من أخطائها كما استطاع الشاعر الجاهلى بدقة بارعة تصوير حركتها الخاصة من مط للحواجب شزراً سخرية واستهانة بمن أمامها إذ يقول عبيد بن الأبرص مصوراً ذلك:(٤)

ودعى مط حاجبيك وعيشى معنا بالرجاء والتأمل

وتصوير سرعة تقلبها المزاجى الذى يجعلها تنتقل من النقيض إلى النقيض والذى يصوره الشاعر "علباء بن الأرقم" بقوله:(٥)

فيوما توافينا بوجه مقسم كأن ظبية تعطو إلى ناضر السلم
ويوما تريد مالنا مع مالها فإن لم تنلها لم تنمنا ولم تنم

(١) انظر قصيدة الجميح.
(٢) انظر قصيدة ذى الخرق.
(٣) الأصمعيات/ ص ١٥٧.
(٤) انظر أسباب المغاضبات الزوجية – فقد المال والشباب –
(٥) الأصمعيات/ ١٥٧–١٥٨.

نبيت كأنها في خصومة غرامة وتسمع جاراتي التألي والقسم

فهى سريعاً ما تنتقل بين الوداعة والشراسة.

فإذا بنا لا نملك أنفسنا من أن نتمثل بهذه الأبيات التى يرجع خلودها إلى واقعية موضوعها وإنسانية نوازعها وصدقها الفنى ودقتها التعبيرية فإذا هى تخرج من نطاق الذاتية إلى نطاق إنسانى رحب.

ارتبط شعر المغاضبات بالموقف النفسى والسلوكى للشاعر وبرؤيته للحياة:

يرتبط شعر المغاضبات بالموقف النفسى للشاعر وبرؤيته للحياة يتضح ذلك من إصرار "حاتم" على البذل والعطاء على الرغم من كثرة مغاضبات زوجتيه له ومطالبتهما للانفصال عنه وذلك لأن نفسيته مؤثرة للسخاء والبذل ولأن رؤيته للحياة وخبراته الحياتية جعلته يؤمن أن المال يفنى ولكن الثناء والذكر الجميل قادر على أن يخلد ذكر صاحبه وقد صدقت رؤياه فقد مات "حاتم" وفنى ماله وثاوى التراب أبناءه لكن كرمه وسخاه مازال مضرب الأمثال عبر الزمان ومازال الشعر الذى يرُد به على مغاضبة زوجته ويبين موقفه النفسى والسلوكى النابع من رؤيته الحياتية خالداً عبر الزمان مردداً قوله:

أما وى قد طال التجنب والهجر وقد عذرتنى من طلابكم العذر
أما وى أن المال غاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكر
أما وى أنى لا أقول لسائل إذا جاء يوما حل من ما لنا نذر

من خلال إصرار كل من "عروة بن الورد" و"عمرو بن بارقة" على اتخاذ الصعلكة مذهباً للحياة ولزومهما دائماً للاغتراب والإغارة والفتك

على الرغم من محاولات زوج كلا منهما الدؤوب للحد من هذا السلوك الذى يعرض كلا منهما للهلاك لكن رؤيتهما للحياة التى يحكمها مبدأ القوة والفتك جعلهما يتخذان الإغارة والفتك والسلب والسطو وقطع الطريق مذهبا حياتيا[1] لأن الحياة الجاهلية بصعوبتها وقسوتها بالإضافة إلى صعوبة حياتهما الخاصة وجرأتهما النفسية والجسدية جعلتهما يحترفا الصعلكة ويريان أن البقاء للأقوى مرددين قول زهير بن أبى سلمى:

والظلم من شيم النفوس فإن نجد ذاعفة فلعله لا يظلم
ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ويريان وجودهما الحقيقى فى انتهاج هذا المسلك الحياتى من أجل حفظ حياتهما وحياة من يعولاهم فيقول عروة مبيناً لزوجته المغاضبة له الرافضة لخروجه للإغارة مبيناً أن ما تلومه عليه لا يستطيع التخلى عنه لأنه مسلك حياتى انتهجه للحفاظ عليها وعلى من يعولهم من العوذ وذل المسألة:-

ذرينى أطوف فى البلاد لعلنى اخليك وأغنيك عن سوء محضرى

وقول عمرو بن براقة لزوجه الثائرة عليه وعل سلوك الفتك والإغارة.

تقول سليمى لا تعرض لتلفة وليلك عن ليل الصعاليك نائم
وكيف ينام الليل من جل ماله حسام كلون الملح أبيض صارم
ألم تعلمين أن الصعاليك نومهم قليل إذ أنام الخلىّ ملازم

(١) انظر شعر الصعاليك تأليف د. عبد الحليم حفنى ص ٩٤ وما بعدها ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩ والشعراء الصعاليك/ د. يوسف خليفة ط دار المعارف.

ولعل ارتباط شعر المغاضبات بالموقف النفسى والسلوكى للشاعر وبرؤيته الخاصة للحياة قد أثراه بالعديد من التأملات النفسية والفكرية التى سيرت أغوار الحياة الإنسانية.

المغاضبات الزوجية والموقف العام فى القصيدة وارتباطها بالموقف:

ومن خلال تتبعنا لشعر المغاضبات الزوجية نجد أن المغاضبات الزوجية قد أفرد لها الشعراء وخصوها بالعديد من القصائد والمقطوعات الشعرية التى استأثرت بها بالإضافة إلى إيرادها ضمن العديد من القصائد الشعرية وقد استطاع الشاعر الجاهلى بدقة بالغة جعل أبيات المغاضبات الزوجية مرتبطة وملتحمة التحاماً تاماً بالبناء الشعرى لقصيدته وأن تعددت مواضيعها فإذا بموضوعاته الأخرى تصفى عليها عمقاً وتزيدها تأثيراً، كما أنها تثرى وتضفى عمقاً للأغراض الأخرى، مما يجعل القصيدة الشعرية بناءً فنياً متكاملاً من خلال هذا الالتحام التام بين أغراض القصيدة سواء أتت تلك المشاجرة الزوجية فى خاتمة القصيدة التى يكون وقعها أشد لأنها أخر ما يطرق السمع وكما فى قصيدة "معود الحكماء"[1] التى يفتتحها بذكر طيف الحبيبة من اهتدائه إلى مضجعه ثم إظهار مدى جدارته بمثل هذا الحب من خلال فخره بمحتده ونسبه الأصيل العريق ومجده التليد وببأس قومه وشجاعتهم وكرمهم الأصيل. الذى تأصل فى نفسه وجعل زوجته تكثر من لومه ومغاضبته، فإذا هو يختم قصيدته بتلك المشاجرة

(١) معود الحكماء: هو معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر صعصعة وينتهى بنسبه بقيس.
بن عيلان من مصر وفارس وشاعر جاهلى مشهور وأمه أم البنين وهو خامس خمسة من أخوته كلهم ساد ووسم بخصلة حميدة ولقب بمعود الحكماء بقوله أعود مثلها الحكماء بعدى: إذا ما ألحق فى الأشياع ناب.

الزوجية التى تؤكد وتعمق كرمه وأصالة نسبه التى تجعله جدير بأن يكون جديراً بالحب والتعلق به. وإذا بغزله وفخره بنسبة التليد وكرمه الأصيل يضفى أضواء على عدم جدوى لوم زوجه له على السخاء وبذل المال، وبيان صعوبة موقفه وقد ورث وتعود على هذا السخاء والعطاء حيث يقول(١):

قالت سمية: قد غويت، بأن رأت حقا تناوب مالنا ووفود
غى لعمرك لا أزال أعوده ما دام مال عندنا موجود

أو مجئ المغاضبة الزوجية فى داخل صميم القصيدة كما فى قصيدة "عبيد بن الأبرص" الذى افتتحها بتذكر ديار المحبوبة التى انقضت وتغيرت، ورحيل محبوبته عنها، رامزاً بذلك إلى تغير حاله وحال زوجه معه وتغير صروف الدهر وأحواله قائلاً:(٢)

إلا عتبت على اليوم عرسى وقد هبت بليل تشكينى
فقالت لى كبرت فقلت حقا لقد اخلفت حينا بعد حين
ترينى أية الأعراض منها وقطت فى المقال بعد لين

(١) المفضليات/ ص ٣٥٦. الحق: هو ما يعتبره من قرى ضيف ومنيحة ودية.

(٢) ذجرت القدح: ذكر بن فتيبة فى المسير والقداح أنهم كانوا يضربون بداح الميسر فيصيمون بها ويجوتها إذا ضربوا كما يفعل المغامرون بالنرد. الصبا: ريح مهبها من الشرق./خرقاء: هوجاء لا تلوم على جهتها فى هبوبها./ الحظار، بكى الحاء وفتحاه: الحظيرة تعمل للإبل من شجرة لتقيها البرد والرياح./ الذاهقات:- الزاهق من الدواب: السمين الذى اكتنز لحمه./ الحمول:- تلابل عليها الأحمال./ الغرى: نصيب كان يذبح عليه النسك/ المجسد المسبوغ بالجسد هو ههنا الدم الذى يراص على النصب يريد أن ياسر بهذه الأبل التى وصف./ قمرت اللحم: يريد كسبتر، ولم نجد هذا الاستعمال، ولكنهم يقولون "قمرتن الرجل" أى غلبته فى القمار./ لم أنظر به: لم أوخره/ لينا حال من الضمير فى "به" شرقة الغد أى شمسه ويقال لشمسى "شرق" وبفتحين وبفتح فيسكون، أعراض البيوت بنواحيها، المقامة: الجماعة يتجمعون فى مجلس، المجتدى: طالب العطاء/ جنباتهم: سقطاهم والتجنب الوقيعة والشتم، لم أنشد: لم أذكر بقبيح.

ويثره إعراض زوجه عنه وسخريتها منه واحتقارها لهرمه وكبر سنه إلى أن يتذكر شبابه ويفخر بمغامراته العاطفية وبشربه للخمر وبفروسيته وببلائه فى الحروب كمحاولة نفسية لدفع هذا الانكسار النفسى الذى أحسه ولتذكير زوجته بماضيه لعلها تكف عن ازدرائه وتجاهله. فإذا بمقدمته الطللية تمهد لموضوعه الأساسى وتعمقه. وإذا بفخره يزيد إحساسنا بمعاناته النفسية من هذه الزوجة التى تمثل ذاتها محورا لحياتها خاصة بعد هذه المقابلة بين صورته الحالية وصورته الماضية قائلاً:

فإن يك فأتنى أسفاً شبابى واضحى الرأس منى كالجين
وكان اللهو حالفنى زمانا فأضحى اليوم منقطع النظير
فقد ألج الخباء على عذارى كأن عيونهن عيون عين

وقد تأتى المشاجرات الزوجية فى مقدمة القصيدة:

لقد زجرت القدح إذ هبت صبا خرقاء تقذف بالخطار المسند
فى الزاهقات وفى الحمول وفى التى أبقت سناماً كالغرى المجسد
فإذا قمرْت اللحم لم انظر به نينا كما هو مأوه شرق الغد وغلى
وجرى بأعراض البيوت وأهلها المقامة ذى الغنى والمجتدى
وإذا هوازن جمعوا فتناشدوا جنباتهم الفيتنى لم أنشد

فإذا بمغاضبة زوجه له هى الدافع القوى والمثير لفخره بشبابه ومآثره وإذا بفخره يظهر عمق ما يعانى من آلام نفسية مبرحة من جراء مغاضبة وسخرية زوجه. كما يجد فى فخره محاولة للرد على زوجه ووسيلة للهروب من واقعه الذى يصفه بكل صدق وصراحة ووضوح وجرأة كمحاولة لإحداث توازناً نفسياً.

وهكذا نجد فى جميع القصائد التى لا تنفرد بالمغاضبات الزوجية أن المغاضبات تلتحم التحاماً شديداً بالموقف النفسى فإذا هى جزء لا يتجزأ منها من خلال انفعال الشاعر الفريد الأصيل الذى يملك القدرة على صهر كل أجزاء تجربته الشعرية فى بوتقة واحدة والذى يدل على قدرته الإبداعية.

الخصائص الفنية للشكل فى شعر المغاضبات الزوجية

ومن خلال تتبعنا لنماذج من شعر المغاضبات الزوجية فى الشعر الجاهلى يمكننا القول بأن أهم ما يميز شعر المغاضبات الزوجية:-

أولاً: سهولة ووضوح الألفاظ والأساليب

ولعل طبيعة التجربة الشعرية وطبيعة موضوعها هى التى تفرض نفسها فالشاعر الجاهلى يعبر فيها عن لحظة من لحظات الغضب أو الصدام أو العتاب بينه وبين زوجه وعن تجربته الشخصية والخاصة معها فى بساطة ووضوح لأن التجارب الشخصية والخاصة يكون التعبير عنها بعيداً عن التكلف والصنعه وخاصة التجارب الحياتية التى يكون الانفعال بها فورى وسريع ولنسمع إلى قول الشاعر الجاهلى وهو يصف ما دار بينه وبين زوجه من مغاضبة بسبب كثرة بذله للمال وإنفاقه:-

باتت تلوم وتلحانى على خُلق عُوِّدته عادةً والخير تعويدُ
قالت أراك بما أنفقت ذا سرف فيما علمت، فهلا فيل تصريد
قلت اتركينى أبع مالى بمكرمةٍ يبقى ثنائى ما أوْرقِ العودُ

فنحن نجد أن الألفاظ والأساليب بسيطة وواضحة لا تعقيد فيها ولا غموض ولا وحشية ويؤكد ذلك قول حطائط لزوجه "رهم":

تقول ابنة العبَّاب رُهْمُ،: حَربَتنا خطائِط لم تترك لنفسك معقداً

إذا مـا افـدنا صـرمة بعـد هجمـةٍ تكـون عليهـا كـابن أمَّـك أسـودا

وقد يبدو لنا غرابة كلمة (حربتنا) أى أكثرت من بذل المال حتى صار حالنا مثل حال المحروب وكلمة (صرمة) القطعة من الإبل ما بين العشر والأربعين لكن كلا الكلمتين يتميز بالسهولة والوضوح فى عصره والعصور التالية ولعل بعدنا عن الحياة البدوية التى كان يحياها الشاعر الجاهلى هى التى أعطت بعضنا هذا الأحساس وإن كان معناها واضح ومفهوم من خلال الصياغة الشعرية.

وقول "حاجب بن حبيب الأسدى" يصف مغاضبة زوجه له بسبب إعزازه وتمسكه بفرسه "ثادق" ورفضه لبيعه مع الحاجة الملحة إلى ثمنه قائلاً:

باتـــت تلـــوم علـــى ثـــادق ليشـــرى فقـــد جـــد عصـــيانها

ألا أن نجـــواك فـــى ثـــادق ســـــواء علـــــىّ وإعلانهـــــا

وأما بعض الألفاظ التى تبدو غير واضحة فهى قليلة وعدم وضوحها يرجع إلى بعدنا عن لغتنا العربية وبعد العهد بيننا وبين العصر الجاهلى وإن كانت واضحة من خلال الصياغة الشعرية والسياق الشعرى.

كما يتميز أسلوب شعر المغاضبات بالبساطة والانسيابية فى التعبير لأنه شعر تغلب عليه التلقائية كما هو واضح من خلال العديد من النماذج الشعرية التى عرضناها من خلال البحث.

كما يتميز بالدقة فى استخدام بعض الألفاظ الغريبة مثل "حربش" أى الحقودة فى قوله هاجياً لزوجته:

يـا رب شـمطاء المفـارق حـربش صـــماء لـــيس لقلبهـــا أذنـــان

فكلمة حربش بغرابتها أتت فى مكانها لتعبر عن غرابة هذه الزوجة المهجوة وغرابة صفتها، ولتوحى بالمبالغة فى الهجاء فإذا هى بظلالها الإيحائية أعمق تعبيرياً من قوله "حقود" لأنها تؤكد غرابة هذه الزوجة ووحشيتها خاصة وأن كلمة تحوى على مادة (حرب) التى لها إيحاؤها الخاص. كذلك كلمة (ذرب اللسان) وكلمة ظربان فى قول الزوجة التى تناقض زوجها.

يا رب شيخ قد تولى خيره ذرب اللسان كأنه ظربان

فكلمة ذرب بغرابتها وضبابيتها التعبيرية تزيد من إحساسنا بهجاء هذا الزوج السليط الحاد اللسان كما أن تشبيهه بالظربان هذه الدويبة المنتنة يجعلنا أشد اشمئزازاً ويزيد من هذا الإيحاء ويقويه فيكون الهجاء أكثر تأثيراً وإيلاما.

وكذلك أجاد الشاعر فى استخدامه للفظ (شخيس) بمعنى متعدد الذى يوحى فى غرابته أيضاً بالضبابية التى تزيد من إحساسنا بضخامة هذا الشؤم فى قوله مخاطباً زوجه.

فبينى على نجم شخيس نحوسه وأشام طير الزاجرين سنيح

وكذلك أجاد الشاعر فى استخدامه للفظ (سجيح) بمعنى ليس سهل.

ثانياً: يتميز شعر المغاضبات بمدلولاته الخاصة

مثل لفظ (عرسى) الذى لا يستخدم إلا فى حالة الغضب الشديد من الزوجة، وضعف الرابطة الزوجية بينهما وكأنه باستخدامه لهذا اللفظ يعلن أنه لا يربطهما إلا الرابطة الظاهرة للزواج.

كما يستخدم اسم الزوجة صراحة "أمامه"، "حدرة" – (كبيشة) – ماوية – سليمى. ليوحى بتقديره الخاص لها وتعلقه بها على الرغم من مغاضبتها وشجارهما. كما يؤكد عمق العلاقة استخدامه لكنيتها (أم حبيش) (أم حسان) ... تجاهلاً تاماً.

ثالثاً: يزخر شعر المغاضبات الزوجية فى العصر الجاهلى بالألفاظ والأساليب الإيحائية المؤثرة التى لها مخزون وطاقة شعورية عميقة وكامنة فى نفوسنا تكاد أن تكون معجماً شعرياً خاصاً مثل "تلومنى – المالمة – تلحنى – تعاتبنى – عتابى – الدهر – رماها – عرسى – عمد – قول زور – هتر – عجافاً – الرمق – أفنى حياء – الموت – باتت – هجمة – لطمة – حوادث – الهوان – جبن – شجاعة – فبينى – فبانت – أرث – الحبل – أعاذلتى – لا تعذلينى – الرزء – كلب الهراش – تشغبينى – الشغب – صمتاً – مط الحواجب – سجية – شيمتى – وأشأم – نجم – شخيس – نحوسه – قتل" ونجد أن هذا المعجم الخاص يدور فى شعر المغاضبات بصورة ملحوظة.

رابعاً: يغلب على شعر المغاضبات الزوجية أسلوب القص والحكاية والحوار الذى يكسب الأبيات تدفقاً وحيوية، حيث إنه غالباً ما يحكى ويقص علينا أحداثاً ذات حوار دارت بينه وبين زوجه مما يؤكد أصالة القص الشعرى فى أدبنا العربى فها هو حاجب بين حبيب يقول قاصاً حاكياً ما دار بينه وبين زوجه من مغاضبة:

باتت تلوم على ثادق ... ليشرى فقد جد عصيانها
ألا أن نجواك فى ثادق ... سواء علىّ وإعلانها
وقالت: أغثنا به انني ... أرى الخيل قد اثاب أثمانها

فقلـــت: ألـــم تعلمـــى أنـــه كـــريم تلكبـــة مبـــدانها

وهذا هو الحطينة يحكى لنا فى أسلوب قصصى ما دار بينه وبين زوجه قائلاً:

ألا هبـــت أمامـــة بعـــد هـــدوء تعـــاتبنى ومـــا قضـــت كرهـــا
فقلـــت: لهـــا أمـــام ذرى عتـــابى فـــإن الـــنفس مبديـــة نثاهـــا

ويقص علينا شاعر آخر ما دار بينه وبين زوجه المغاضبة له بسبب فراره من ميدان القتال وحواره معها قائلاً:

قالـت: أمامـه لـم تكـن لـك عـادة أن تتـرك الأصـحاب حتـى تعـذر
لـو كـان قتـل يـا أمـام فراحـة لكـن فـررة مخافـة أن أو سـراً

وكذلك يقص علينا "عروة بن الورد" ما دار بينه وبين زوجه من مغاضبة بسبب كثرة رحلاته وغزواته وإيثاره لهذا الاغتراب على البقاء والإقامة معها قائلاً:

أرى أم حســـان الغـــداة تلـــومنى تخـوفنى الأعـداء والـنفس أخـوف
تقـول: سـليمى لـو أقمـت بأرضـنا ولـم تـدر أنـى للمقـام أطـوف

خامساً: يغلب الأسلوب الساخر على شعر المغاضبات الزوجية:

وتتنوع أساليب السخرية فيه ما بين الرمز[1] والمبالغة ومن المقابلة بين المعانى وإبراز للتناقض بين الصور. ومن أساليب السخرية قوله:

(١) استخدم الرمز هنا بمعناه العام الذى يشمل كل ما يحل محل شئ أخر أو يومئ إليه عن طريق علاقة متعارف عليها أو مشابهة عرضية فيشمل الرمز الكناية والمجاز املرسل والتشبيه والاستعارة وما فيها من علاقات معقدة بينا الأشياء تتجاوز التماثل فى العلاقات والملامح الحسية إلى العلاقة الداخلية بين الرامز والمرموز التى تقوم على تشابه الأثر النفسى – أنظرا لسخرية فى شعر أبى الطيب المتبنى/ للباحثة المجلد الثانى ص ٩١٧.

يـا رب شـمطاء المفـارق حـربش صـــماء لـــيس لقلبهـــا أذنـــان
تلـــك التـــى لـــو أننـــى خيرتهـــا أو حيـــة همـــازة الأســـنان
لاخترتهـــا بـــدلاً بهـــا وعزلتهـــا وصـدرت ذا جـذل مـع الرعيـان

فالشـاعر يرسـم صـورة سـاخرة لتلـك الزوجـة قائمـة علـى المبالغـة الشديدة فى صفات تلك المرأة الشمطاء العجوز الحقودة العضاضة التى هـى أضـر مـن الحيـة، والتـى لـو خيـر بينهـا وبـين الحيـة لاختـار الحيـة وفضلها عليها وهو سعيد ومسرور. فإذا هو من خلال تكثيف تلك المثالب يرسم لنا صورة هزلية لتلك الزوجة تثير ضحكنا وتهكمنا عليها.

ويرسم الشاعر الجاهلى لنا صورة هزلية حية لهذه الزوجة العجوز الدميمة الغانية الخرفة المضطربة صور بدقة بالغة اضطرابها حين تحاول أن تتذكر شيئاً أودعتـه فـى هذا المكـان أو ذاك مـن البيـت فـلا تسـعفها ذاكرتهـا التـى أضـعفتها الشـيخوخة فـيجن جنونهـا، وتظـل فـى حيرتهـا واضـطرابها تحـك قفاهـا مـن خلـف الخمـار الـذى يغطـى رأسـها المتهـدج فيزيدها قبحاً على قبح، ويضاعف ما كساها الهرم من بشاعة المنظر[1] قائلاً:

لا تـنكحن الـدهر مـا عشـت أيمـاً مخرمـــة قـــد مـــل منهـــا وملـــت
تحـــك قفاهـــا مـــن وراء خمارهـــا إذا فقـدت شـيئاً مـن البيـت جنـت

فإذا هو يصور لنا صورة واقعية ساخرة معتمدة على دقة الملاحظة التى تجعل أجزاء الموضوع واضحة، وعين الشاعر على اختيار الصور اللاذعة التى تؤذى خصمه، وتجعله أضحوكة بين الناس، ولنستمع إلى

(١) انظر الهجاء والهجاءون فى الجاهلية /د. محمد محمد حسين ص ٤٤، ط دار النهضة العربية للطباعة وانلشر بيروت لبنان ط ١٩٧٠.

هذه الصورة الهزلية الساخرة لهذا الزوج التى تعتمد على التناقض بين ما يجب أن يكون وما هو كائن بالفعل. فها هى أم الأسود الكلبية تسخر من زوجها البخيل الجلف الخش قائلة:(١)

يرى الطيب عاراً أن يمس ثيابه أو المسك يوماً إن علاه صورها
فيا له من زوج هذا الذى يرى الطيب عاراً أن يمس ثيابه

ولعل من أساليب السخرية ما يعتمد على المبالغة والتصوير الفنى والمقابلة بين المعنى وضده والرمز معاً كوحدة تعبيرية ومن ذلك قول الشاعر مصوراً شراسة زوجته وضجيجها وصخبها الدائم وسوء ظنها الذى يجعلها لا تهجع للنوم فى الوقت الذى يهجع فيه الآخرون بصورة كلب الحراسة الكثير والدائم النبح، والمتحفز دائماً للانقضاض فإذا الشاعر يستكمل هذه الصورة الساخرة من خلال المقابلة بين حالها وحال غيرها ومن خلال ما توحى به تلك المقابلة من رمز إلى سوء ظنها وضجيجها وصخبها الدائم فى تكامل تعبيرى رائع قائلاً:

منجذة مثل كلب الهراش إذاهجع الناس لم تهجع

تتميز المغاضبات الزوجية بغلبة الأسلوب الانفعالى ذى الشحنات الانفعالية المكثفة والمركزة الذى يكسب الأسلوب حيوية وتدفق من خلال استخدام الأساليب الإنشائية المتنوعة من أمر ونهى ونداء وتعجب واستفهام ورجاء. من ذلك الاستفهام الإنكارى التعجبى الذى يدل على مدى الحيرة والاضطراب الذى يشعر به الزوج الذى يعانى من مغاضبة زوجته ومثال ذلك قول الشاعر:

ما بال أم حبيش لا تكلمنا لما افترقنا وقد نثرى فنتفق

(١)

وقوله:-

أهجرتـــى يـــا بنـــة آل ســـعد أن حلبـــت لقحـــة للـــورد

وقوله:-

تلك عرسى غضبى تميز حلالى ألبـــين تريـــد أم لـــدلال

وقوله:-

هبت تلوم وليست ساعة اللاحى هلا انتظرت بهذا اللوم لصباحى

وقد يحمل الاستفهام معنى السخرية والاستهزاء مثل قول الجميح:-

أمست أمامة صمتاً ما تكلمنا مجنونة أم أحست أهل خروب؟

وقد يراد به إظهار الحيرة ومثل قول الجميح:-

مرت براكب ملهوز، فقال لها ضرى الجميح ومسيه بتعذيب؟

واستخدام أساليب الأمر والنهى الذى تدل على شدة الغضب والضجر والتبرم مثل:

"**اتركينى ابع مالى بمكرمة**" "**لا تعزلينى فى العطاء**" "**ذرينى وحالى**" "**ذرينى يكن مالى**" "**ألا لا تلومانى**" "**أهجعى**" "**اسمع سفها تبيتك الملامة فاهجعى**" "**ذرينى للغنى اسعى**" وقد يراد بالأمر الحث وإظهار التلهف مثل قول الشاعر:-

وقالـــت: أغثنـــا بـــه إننـــى أرى الخيـــل قـــد ثـــاب أثمانهـــا

وقوله: (فارفضى العاذلين واقنى حياء) (وعيشى معنا بالرجاء والتأميل) (عيشى بالذى يغنيك) (فاقينى حياء).

كما يتميز شعر المغاضبات بانتشار أساليب النداء فيه ومن ذلك "أماوى" "أعاذل" وقد يستخدم النداء فيشعرنا بشدة التلهف وخاصة إذا ارتبط بالدعاء.

وأكثر فيه من استخدام ألا التنبيهية التى تحمل شحنات انفعالية تدل على خطورة الأمر وأهميته وتشعرنا بمدى توتر الشاعر وصدمته وحاجته الملحة إلى من يشاركه فى معاناته نشعر بذلك فى قول "عبيد بن الأبرص":-

ألا عتبت على اليوم عرسى وقد هبت بليل تشتيكنى

وقول الحطيئة:

ألا هبت أمامة بعد هدء تعاتبنى وما قضت كراها

وقول حاجب الأسدى:

ألا أن نجواك فى ثادق سواء على وإعلانها

تتميز الصورة الشعرية فى المغاضبات الزوجية فى العصر الجاهلى بالعديد من السمات والخصائص الفنية أهمها:-

أن كل قصيدة أو مقطوعة أو عدة أبيات من قصيدة تمثل صورة ولوحة فنية متكاملة يلعب فيها كل من الصوت واللون والحركة والشعور النفسى والوجدانى دوراً هاماً.

ومن نماذج تلك الصورة الفنية المتكاملة أبيات "علياء بن أرقم بن عوف". الذى يرسم فيها صورة فنية متكاملة للمغاضبة الزوجية التى دارت بينه وبين زوجه التى تظهر أعراضها عنه ومغاضبتها له بحركة وجهها وصدها عنه بأعراضها به بعيداً عنه وبالصوت من خلال أدعائها ظلمه ونشر هذا الظلم المزعوم بين الأهل والجيران بشكواها الدائمة منه وتقلبها

النفسى والمزاجى الذى يجعلها تارة تأتى باسمة مهللة رائعة مستبشرة تمتلئ بالحيوية والنشاط والانطلاق وخفة الحركة، وتارة شرسة ومزعجة ومتحفزة ومتوعدة وصاخبة يسمع جيرانها صخبها وتوعدها خاصة إذا لم ينلها ماله ولم يعطها ويمنحها ما تصبو إليه. فإذا هو يرسم لنا صورة صوتية بجانب الصورة النفسية التى ترسم جشعها وتكمل زاوية هامة من زوايا شخصيتها ونفسيتها المريضة كما يرسم لنا صورة كاملة لتصديه لها بالدهاء حتى تعض السن من شدة الندم وتهديده لها بالفراق الذى ينهى به هذه الصورة واللوحة الفنية المتكاملة إذ يقول:(١)

ألا تلكما عرسى تصد بوجهها وتزعم فى جاراتها أنى من ظلم
أبونا ولم أظلم بشئ عملته سوى ما ترين فى الفذال من القدم
فيوما توافينا بوجه مقسم كان ظبية تعطو إلى ناضر السلم
ويوما تريد مالنا مع مالها فإن لم ننلها لم تمننا ولم تنم
نبيت كانا فى خصوم عرامة وتسمع جاراتى التألى والقسم

فإذا بالصورة الفنية تتسع لتشمل كل من الصورة البيانية "**كان ظبية تعطو إلى ناضر السلم**" "**كأنا فى خصومة عرامة**" "**العيس خنسا عكومها**" التى تصور امتلاء الأوعية والصورة الإيحائية ذات الظلال المعنوية التى لا تخرج عن معانيها الحقيقية ولكنها فى موقعها تكون قادرة على أداء الصورة بقدرة رائعة وتأثير قوى. "**تصد بوجهها**" التى تصور شدة غضبها "**تزعم فى جاراتها أن من ظلم التى تصور كذبها وافتعالها**" وكذلك التى تصور افتعالها "**فى القذال من القدم**" التى توحى بكبر سن

(١) الأسمعيات/ ص ١٥٧-١٥٨، العرامة: الشرسة والأذى، التألى: الحلف والقسم، النكر: الدهاء والفطنة، العيس: الإبل الأبيض يخالط بياضها شئ من الشقرة/ العكوم: الأحمال والأعدال التى فيها الأوعية من صنوف الأطعمة والمتاح/ الخنس: جمع أخنس وصف بها العكوم لامتلائها، تشبيهاً بالأنوف الخنس فى اكتنازها وانحنائها، ذو مرة: ذو عقل وأصالة وهى المثل والمرة: القوة وعلى بذلك نفسه.

زوجها "**وجه مقسم**" التى يتصور جمالها "**لم تتمنا ولم تنم**" التى توحى بلجاجتها وإزعاجها وإلحاحها وشراستها "**تسمع جاراتى التألى والقسم**" توحى بصخبها وتوعدها وتهديدها وثورتها الجامحة. "**وأخو النكر**" توحى بحنكته ودهائه، "**تفرعى السن من ندم**" التى توحى وتصور شدة الندم "**لتجنبك العيس خنسا عكومها**" تصور مفارقة الغنى لها المصاحبة لفراقه أياها "**وذو مرة فى العسر واليسر والعدم**".

كما تتميز الصورة الشعرية فى المغاضبات الزوجية بغلبة الصورة الساخرة عليها:

من مثل قول الشاعر "**فلا تجعلى فوق لسانك مبردا**" فيالها من صورة ساخرة لهذه الزوجة التى تضع فوق لسانها مبرداً حاداً مما يوحى بسلاطة لسانها وبصورتها المضحكة المزرية فهذا هو الشاعر "الأعرج" المعنى يرسم صورة كاركياتورية ساخرة لفزع زوجته المضطربة الفزعة التى تهرب عارية الرأس من شدة ذعرها (حاسراً) سريعة العدو (مشمعلة) يعلو صوت قلبها من شدة فزعها وخوفها وذعرها (نخيب الفؤاد) معتمداً على الدقة التعبيرية وواقعية الصورة التى لا تقل تأثيراً عن الصورة البيانية.

غلبت الصور التعبيرية المكثفة التى تعتمد على الصورة الواقعية والدقة التعبيرية والقدرة الإيحائية للألفاظ والأساليب فشعر المغاضبات الزوجية يرسم صورة تعبيرية دقيقة تنفرد بواقعيتها فى تصويرها لمغاضبة المرأة ولأساليبها النسائية التى ترتبط بنوازعها الإنسانية والتى يركز عليها الشاعر (عبيد بن الأبرص) زوايا التقاطه قائلاً:

ألا عتبت على اليوم عرسى وقد هبت بليل تشتكينى
ترينى أية الإعراض منها وقطت فى المقالة بعد لين

ومطـــت حاجبيهـــا أن رأتنـــى كبـرت وان قـد أبيضَّـت قرونـى

فهاهو "عبيد بن الأبرص" يرسم لنا صورة المرأة التى تبدأ بالعتاب واللـوم ثـم بالانفعـال والحـدة مسـتخدماً "هبـت" التـى تـوحى بـالتحفز والانقضاض ثم الشكوى (تشكينى) ثم إعراضها عنه بوجهها (ترينى غاية الأعراض منها) الذى يصور شدة غضبها وصدها وإعراضها عن زوجها وتغير كلامها من اللين إلى غلظة القول والتزام الصمت المميت ثم "قطعت فى المقالة بعد لين" وما يتبع هذا الصمت من حركات تعبيرية يصورها الشاعر بدقة بارعة ألا وهى صورة مط الحواجب التى تعد سمة من سمات الحركات النسائية التى تعبر عن شدة الغضب المصاحب للتحسر والندم (ومطت حاجبيها أن رأتنى) من خلال تكثيف وتركيز تلك الصور المتلاحقة وهكذا استطاعت الصورة الشعرية بواقعيتها ودقتها وكثافتها التعبيرية أن تنقل لنا صورة ولوحة فنية كاملة لمظاهر الغضب عند المرأة مستوعبة الحركة (الإعراض) و(مط الحواجب) والصوت (وقطت فى المقالة بعد لين) والحركة (هبت) (مطت حاجبيها) وتعميق هذه الصورة من خلال المفارقة التصويرية وما تحمله من تناقض (قطت فى المقالة بعد لين) وتكثيف لتلك الصور التعبيرية.

كما تتميز المغضابات الشعرية بالعديد من الصور النفسية من ذلك تصوير الجميع لرعونة زوجته واضطرابها النفسى وتقلبها المزاجى بقوله:-

أمـــا إذا حـــردت حـــردى فمجريـــة جـــرداء تمنـــع غـــيلا غيـــر مقـــروب
وأن يكـن حـادث يخشـى فـذو علـق تظـــل تزجـــره مـــن خشـــية الـــذيب

راسماً صورة لجرأتها وشراستها عليه وقت الأمن حين لا تخشى شيئاً فهى تهاجمه كالبؤوة المفترسة التى تدافع عن صغارها. وصورة لشدة جزعها وخوفها وفزعها عند حدوث أى أمر أو خطب بالطفل الرضيع الذى أفزعه صوت الذئب فجعله يأتى بحركات هستيرية محركاً لما يعلقه من علاقة وخرزها لعلها تهدئ من روعه فيالها من صورة نفسية ساخرة لهذه الزوجة التى لا تستطيع أن تجمع زمام نفسها لا فى حالة الأمن ولا فى حالة الخطب ما أشد دلالتها على ما تعانيه من ضعف نفسى أحسه وصوره الشاعر بدقة بارعة.

وتلك الصورة النفسية الدقيقة التى رسمها دريد بن الصمة التى تعبر عن الامتعاض الشديد الذى انتاب الشاعر من جراء سب زوجته لأخيه والقشعريرة التى انتابته والهزة النفسية العنيفة التى جعلته يشعر أن لحمه تحرك من مكانه ليتقدم بعضه بعضا من شدة امتعاضته لشناعة هذا الفعل والتى عبر عنها الشاعر بقوله "**تقدم بعض لحمى قبل بعض**" فيالها من صورة نفسية دقيقة ومؤثرة تظهر مدى تأثره النفسى الذى انعكس على شعوره.

خصائص الموسيقى الشعرية لشعر المغاضبات الزوجية فى العصر الجاهلى

تتميز الموسيقى الشعرية لشعر المغاضبات باختيار البحور التى تتميز بالرحابة النغمية لتتسع للحوار والقص والشعرى والبيت الوجدانى مثل بحر الطويل – والبسيط – والخفيف – ويليهم الوافر والرجز.

فإذا ببحر الطويل يأخذ مكان الصدارة لاتساعه للقص الشعرى والبث الوجدانى ولتنوعه النغمى لأنه يتكون من "مفعولن مفاعلين –

مفعولن – مفاعلن" أى من وحدتين نغميتين فى كل شطر الذى يساعد على الحوار وتدفقه من خلال تلك المقابلة النغمية بالإضافة جزالته وقوته ورصانته النغمية التى تجعله مناسباً للتعبير عن جلائل وعظائم الأمور كما تجعله مناسباً للتعبير عن المشاعر القوية لوضوح سكتة كل من عروضه وضربه ووضوح نغمته الموسيقية فإذا هو بموسيقاه الخاصة تشعرنا بجلال وعظمة الأمور من ذلك مقطوعة الشاعر حطائط والتى يبدؤها بقوله:

تقول ابنه العباب رهم حربتنا حطائط لم تترك لفنسك مقعداً

وقول " قحفان العنبرى" فى مقطوعته الشعرية التى يفتتحها بقوله:

لا تعذلينى فى العطاء ويسرى لكل بعير جاء طالبه حبلاً[1]

والمقطوعة التى ردت بها زوجة "قحفان" والتى تبدؤها بقولها:

وتقسيم ليلى يا بان قحفان بالذى تفردا بالأرزاق فى السهل والجبل

وقصيدة حاتم الطائى الرائية التى يقول فيها:-

أ ماوى قد طال التجنب والهجر وقد عذرتنى من طلابكم العذر

ودالیته التى يبدؤها بقوله:-

وعازلة هبت تلومنى وقد غاب عيوف الثريا فعردا

وقصيدته التى يفتتحها قائلاً:-

وعاذلتين هبتا بعد هجعة تلومان متلافا مفيدا ملوَّما

(١) فى البيت خرم وهو إسقاط أول الوتر المجموع من أول البيت وهو يعد علة حارية مجرى الزحاف انظر من القريض/ د. محمد السعدى فرهود ص١٠ ط دار المحسنية بالأزهر ١٩٧٨م. واهدى سبيل فى عمل الخيل – والعروض القديم/د. السمان.

وقصيدة رجل من آل حرب يبدؤها بقوله:

باتت تلوم وتلحانى على خلق عودته عادة والخير تعويد

وقول الشاعر الجاهلى:-

ناحت رقية من شاة شربت بها ولا تنوح على ما يأكل الذئب

وقول الأعرج المعنى:-

ارى أم سهل لا تزال تفجع تلوم وما تدرى على من توجع

وقصيدة عبيد بن الأبرص التى يفتتحها بقوله:-

هبت تلوم وليست ساعة اللاحى هلا انتظرت بهذا اللوم إصباحى

وقصيدة الجميح والتى يقول فى أولها:-

أمست أمامة صمتا، ما تكلمنا مجنونة أم أحست أهل حروب

ومقطوعة الزهراء أخت كليب التى تقول فيها:-

ما كنت أحسب الحوادث جمة إنا عبيد الحى بن قحطان

ومقطوعة أم الأسود الكلابية التى تبدؤها بقولها:-

سأنذر بعدى كل بيضاء حرة منعمة خود كريم لجادها

وقصيدة عمرو بن قميئة التى يقول فيها:-

فبينى على نجم شخيس نحوسه وأشام طير الزاجرين سنيح

ولذا قال عنه وعن البسيط صاحب المرشد "أنهما أطول بحور الشعر العربى وأعظمها أبهة وجلالة "لأنه أخذ من حلاوة الوافر دون انبتاره ومن رقة الرمل دون لينه المفرط ومن ترسل المتقارب دون خفته وضيقه وسلم من جلبة الكامل وكزازة الرجز وأفاده الطول أبهة وجلالة

ونغمة من اللطف بحيث يخلص إليك وأنت لا تكاد تشعر به "ولهذا فضله الشعراء الأولون على غيره فى باب القصص والوصف الذى يغلب على شعر المغاضبات الزوجية لأنه يجعل السامع يصغى ويتفهم العنصر القصصى قبل أن يهتز ويرقص كما فى المتقارب. كما أنه يغلب عليه الصيغة الخبرية مما يجعل أكثر ملامة للقص الذى يغلب فيه جانب الخبر على الإنشاء[١].

ويأتى بحر البسيط فى المرتبة الثانية لاتساع نغمه الشعرى للتعبير عن القصص والحوار واستيعاب الشكوى والبث الوجدانى لأنه يتكون من (مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن) وهذا التقابل فى التفعيل والنغم الموسيقى يجعله مناسباً للقصص والحوار الشعرى. ولكنه لا يصل استخدامه إلى حد الطويل لأن فيه بقية من دندنة بحر الرجز (مستفعلن) تمنع نغمه من أن يكون خالص الاختفاء وراء كلام الشاعر "لان روح البسيط لا يكاد يخلو من أحد النقيضين العنف واللين"[٢]. ولذا تكاد تغلب عليه الصبغة الإنشائية والانفعالية ولهذا كان القصص الذى يستقيم فيه ما يكون فيه لون من عنف أو لين ولذلك كان "الجميح" دقيقاً فى اختياره لبحر البسيط ليعبر من خلاله عن غضبه الشديد على زوجه فى مقدمة قصيدته ويعبر فى نهايتها عن لينه معها وتفهمه لوجهة نظرها ونحن نشعر بهذا العنف أيضاً فى قصيدة حجية بن مضرب التى يبدؤها بقوله:-

لججنا ولجت هذه فى التغضب ولط الحجاب دوننا والتجنب

(١) انظر المرشد إلى فهم أشعار العرب/ د. عبد الله الطيب ص ٣٦٢ – ٤١٤ – ٤١٥ ط دار الفكر العربى بيروت، لبنان ط الثانية ١٩٧٠.

(٢) انظر المرشد/ ص ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦.

فى قصيدة عمرو بن شأس والتى يقول فيها:

أرادت عـــرارا بـــالهوان مـــن يـــرد عـــراراً لعمـــرى بـــالهوان فقـــد ظلـــم

كما نشعر باللين فى قصيدة دريد بن الصمة يبدؤها بقوله:-

أرث جديـــد الحبـــل مـــن أم معبـــد معاقبـــة أم أخلفـــت كـــل موعـــد

وأبيات علقمة الفحل التى يقول فيها:

فـــإن تســـألونى بالنســـاء فـــأننى بصـــير بـــأدواء النســـاء طبيـــب

ويلى الطويل والبسيط فى شعر المغاضبات الزوجية بحر الخفيف.

(فاعلاتن مستفعلن - فاعلاتن) بموسيقاه المعتدلة ونغمة الهادئ المناسب الذى يجعله ملائماً للنص والحوار وأن كان بما به من دندنة تجعله أقرب للحوار المسرحى ولهذا يستخدمه الشاعر بدقة ليعبر عن هذا المنظر والحوار المسرحى المثير للضحك قائلاً:-

خبروهـــا بـــأننى قـــد تزوجـــت فظلـــت تكـــاتم الغـــيظ ســـراً
ثـــم قالـــت لأختهـــا ولأخـــرى جلـــداً: ليتـــه تـــزوج عشـــرا

ويستعل "عبيد بن الأبرص" هدوء نغمة الخفيف الشعرية ونبرته المسرحية ليعبر فيها عن قصته وحكايته مع زوجته ويشعرنا بعدم مبالاته لما تظهره من مغاضبة قائلاً فى أسلوب مسرحى:-

تلـك عرسـى غضـبى تميـز حلالـى ألبـــين تريـــد أم لـــدلال؟

والتى تعبر عن العاطفة الهادئة التى يقابل بها هذا الزوج أدعاء زوجتيه قائلاً:-

تلـك عرســاى ينطقــان علــى عمــ دلـــى اليـــوم قـــول زور وهتـــر

ولعل فى خفاء وقفة العروض هذا البحر وكثرة دخول التدوير فيه ما يجعله أكثر استيعاباً للقصص والحوار الشعرى لعدم ارتباطه بوقفة الشطر بعد من التفعيلات.

ويقل استخدام الشاعر الجاهلى لكل من بحر الرجز – والمنسرح – والمتقارب – والوافر – والكامل. وإن كان بحر الرجز بموسيقاه الصاخبة قد أجاد الشاعر استخدامه ليعبر عن الشحنات الانفعالية الهادرة والتى تجعل مغاضبته لزوجته أقرب للهجاء وأن كان تكرار تفعيلاته.

(مستفعلن – مستفعلن – مستفعلن) يحد من استيعابه للقصص الشعرى.

كما يتميز شعر المغاضبات الزوجية بسمات موسيقية خاصة أهمها:

التكرار الذى يعبر عن كثافة الشحنة الانفعالية التى تثيرها تلك المغاضبات الشعرية بالإضافة إلى استغلال تكرار الحروف ليعلى من تلك الموسيقية واستغلال الجناس الناقص بقدراته الموسيقية والإيحائية التى تظهر البراعة الإبداعية للشاعر الجاهلى، والتى يزيدها تكرار حروف قافية فى داخل البناء الشعرى فى مواضع مختلفة ومتنوعة كما يتميز شعر المغاضبات بتنوع النغم الموسيقى الذى تتنوع فيه المشاعر والأحاسيس من موقف إلى آخر.

نتائج البحث

أدت دراسة المغاضبات الزوجية إلى:

١- بيان ثراء الشعر الجاهلى والأدب العربى بثروة شعرية هائلة من القصائد والمقطوعات والأبيات الشعرية التى تعبر عن دقائق الحياة الشخصية والزوجية من جانبها السلبى الذى قلما تناولته الأقلام بالدراسة والبحث.

٢- ثراء شعرنا الجاهلى بالقص والحوار الشعرى وانفراد العديد من القصائد بهذا القص المبنى على الوصف والسرد والحوار.

٣- ارتباط شعر المغاضبات الزوجية غالباً بالفخر والحماسة.

٤- كثرة المقطوعات الشعرية فى المغاضبات الزوجية.

٥- اتسامها بالواقعية والبساطة والدقة التعبيرية.

٦- غلبة الأسلوب الساخر والصور الساخرة على شعر المغاضبات.

٧- أدت المغاضبات الزوجية إلى ظهور النقائض الشعرية فى الشعر الجاهلى.

٨- بيان أن المشاجرات الزوجية أدت إلى إثراء الشعر الجاهلى والأدب العربى بالعديد من قصائد الفخر لأنها أثارت فى الشاعر مشاعر دفعته وحفزته إلى الزهو والفخر بنفسه وقومه.

٩- أدت المشاجرات الزوجية وخاصة معايرة الزوجة لزوجها بالفرار إلى إثراء الشعر الجاهلى بالعديد من القصائد الحماسية التى تصف شجاعة الشاعر وبلاءه فى ميادين القتال.

١٠-أدى شعر المغاضبات الزوجية إلى ظهور العديد من المنصفات فى الشعر والأدب والعربى.

١١-أعطى صورة كاملة للمثل والقيم الجاهلية التى يحتفى بها كل من الرجل والمرأة فى الجاهلية.

١٢-أظهر شعر المغاضبات أغلب أسباب الخلافات الزوجية التى مازالت قائمة حتى الآن.

١٣-كما أظهر إدراك الشاعر الجاهلى لمشاعر المرأة الخاصة ولنفسيتها المتقلبة ولأساليب وصور مغاضبتها وعبر عنها بدقة بالغة.

١٤-أظهر شعر المغاضبات صراحة ووضوح الشاعر الجاهلى فى الاعتراف بفقره وهرمه ومرضه وفراره من ميدان القتال على الرغم مما شعر به من ألم ممض.

فهرس المصادر والمراجع

م	اسم الكتاب	المؤلف	الطبعة
١-	الأشباه والنظائر	الخالديان	دار الكتب المصرية
٢-	الاشتقاق	ابن دريد تحقيق عبد السلام هارون	السنة المحمدية ١٩٥٨م
٣-	أخبار المراقصة	السندوبى	مطبعة الاستقامة ط١ ١٩٣٩م
٤-	أشعار النساء	المرزبانى	مخطوط بدار الكتب المصرية (٨) أدب ش ٤٢٨٩٨
٥-	الإصابة فى أسماء الصحابة	ابن حجر العسقلانى	مطبعة الشرقية بمصر
٦-	الأصمعيات	الأصمعى تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون	دار المعارف ط ٥ سلسلة ديوان العرب.
٧-	الأغانى	أبو الفرج الأصفهانى	طبعة ساسى بمصر طبعة دار الكتب المصرية
٨-	أمثال العرب	المفضل الضبى	طبعة القسطنطينية
٩-	الأمالى	أبو على القالى	طبعة دار الكتب المصرية

م	اسم الكتاب	المؤلف	الطبعة
١٠-	البيان والتبيين	الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون	مكتبة الخانجى بالقاهرة
١١-	بلاغات النساء	ابن طيفور	مدرسة والدة الخديوى عباس الأول ١٣٢٦ هـ ١٩٠٨ م
١٢-	بلوغ الأرب فى أحوال العرب	الألوسى	مطبعة الرحمانية ١٣٤٢ هـ/١٩٢٤م
٢٢-	السخرية فى شعر أبى الطيب المتنبى	د. حفيظة إسماعيل رمضان	بحث بحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالإسكندرية المجلد الثانى، العدد ١٦، ٢٠٠٠م
٢٣-	سمط اللألئ	عبد العزيز البكرى تحقيق عبد العزيز الميمنى الراجكوتى	لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٣٦.
٢٤-	شرح حماسة أبى تمام	الشنتمرى تحقيق د. على المفضل حموران	دار لفكر المعاصر بيروت لبنان
٢٥-	شرح القصائد العشر	التبريزى	السلفية بمصر ١٤٤٣م
٢٦	شرح شواهد المغنى	السيوطى	طبعة المطبعة البهية بمصر ١٣٢٢ هـ.

م	اسم الكتاب	المؤلف	الطبعة
٢٧-	الشعر الجاهلى	د. محمد النويهى	دار نهضة مصر بالفجالة
٢٨-	شعر الصعاليك	د. عبد الحليم حفنى	الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩م.
٢٩-	الشعراء الصعاليك	د. يوسف خليف	ط دار المعارف القاهرة
٣٠-	شعراء النصرانية فى الجاهلية	جمع وتحقيق لويس شيخو	مطبعة كلية الآداب النموذجية بالقاهرة ١٩٨٢م.
٣١-	طبقات فحول الشعراء	ابن سلام تحقيق أحمد محمد شاكر	مطبعة المدنى بالقاهرة ١٩٧٤م.
٣٢-	العقد الفريد	ابن عبد ربه تحقيق أحمد أمين د. أحمد زين د. إبراهيم الإبيارى	لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة
٣٣-	العمدة	ابن رشيق تحقيق مفيد قميحة	دار الكتب العلمية بيروت لبنان
٣٤-	الغزل فى العصر الجاهلى	د. أحمد الحوفى	رسالة ماجستير مخطوط بجامعة القاهرة
٣٥-	فن القريض	د. محمد السعدى فرهود	دار المحمدية بالأزهر ١٩٧٨م.

م	اسم الكتاب	المؤلف	الطبعة
٣٦-	مجمع الأمثال	الميدانى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم	المطبعة الخيرية عيسى البالى الحلبى
٣٧-	محاضرات الأدباء	الراغب الأصفهانى	مطبعة الشرقية ١٣٢٦هـ
٣٨-	مختارات ابن الشجرى	ابن الشجرى تحقيق محمد البجاوى	دار النهضة للطباعة والنشر بالفجالة ١٩٧٥
٣٩-	المرأة فى الشعر الجاهلى	د. أحمد محمد الحوفى	دار الفكر العربى ط٢
٤٠-	المرشد إلى فهم أشعار العرب	د. عبد الله الطيب	دار الفكر العربى بيروت لبنان ١٩٧١م
٤١-	معجم الشعراء	المرزبانى تحقيق عبد الستار فراج	عيسى البابى الحلبى
٤٢-	المفضليات	المفضل الضبى تحقيق أحمد محمد شاكر	دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٣ م
٤٣-	المؤتلف والمختلفة	الأمدى تحقيق عبد الستار فراج	عيسى البابى الحلبى ١٩٦١م
٤٤-	نزهة الأبصار والأسماع فى أخبار ذوات القناع	لم يذكر اسم المؤلف	المطبعة العثمانية بمصر ١٣٠٥ هـ
٤٥-	الهجاء والهجاءون فى الجاهلية	د. محمد حسين	دار النضهة العربية للطباعة والنشر